أ. د. محمد بن منصور الحاوي

التاريخ السياسي والفكري

لإقليم عسير قبل الدولة السعودية الأولى
بين الزيف والحقيقة

(دراسة تقويضية في ضوء المصادر الأصيلة)



أ. د. محمد بن منصور الحاوي
الأستاذ بقسم التاريخ والآثار
في كلية الآدب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك خالد / أبها

التاريخ السياسي والفكري

لإقليم عسير قبل الدولة السعودية الأولى
بين الزيف والحقيقة

(دراسة تقويضية في ضوء المصادر الأصيلة)



التاريخ السياسي والفكري

لإقليم عسير قبل الدولة السعودية الأولى بين الزيف والحقيقة

(دراسة تقويضية في ضوء المصادر الأصيلة)

أ. د. محمد بن منصور الحاوي

الأستاذ بقسم التاريخ والآثار

في كلية الآدب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك خالد / أبها



مؤسسة الانتشار العربي م م ح

الشارقة ـ الامارات العربية المتحدة

E-mail: arabdiffusion@hotmail.com

 Alintishar Alarabi

www.alintishar.com

 @Alintishar Alarabi

 @Alintishar Alarabi

ISBN 978-9953-93-819-6

الطبعة الأولى 2025

المحتويات

الهدفُ من هذا الكتاب

يسعى هذا الكتاب إلى مناقشةٍ، وتفنيد، وتقويض[1] ما ذهبت إليه ـ زورًا ـ بعض المؤلفات، والمدونات المجهولة التي تتحدّث عن تاريخ سياسي مزعوم لبلاد عسير خلال العصور الإسلامية الوسيطة، والمتأخرة ـ أي قبل دخول عسير تحت سلطة الدولة السعودية الأولى ـ وغلب عليها الزيف، وتفشّت فيها النصوص المصطنعة، واخترقها الاضطراب، والمبالغة،

---

(1) وقد اقتبسته، واستمددتُ منه سواء لعمقه الفلسفي النقدي، أو معناه الظاهري الذي يتماهى مع القصد الذي نسعى إليه في تقويض ماجاءت به تلك المدونات الزائفة، وما تداوله بعضُ الباحثين المعاصرين الذين اقتبسوا منها، ومرّروا نصوصها، أو بنوا آراءهم، وافتراضاتهم، ومقارباتهم عليها. وهو مصطلح يقابل مصطلح التفكيكية ويعودُ الفضلُ في ابتداع هذا المصطلح إلى الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا؛ وعلى الرّغم من أنّه مصطلح نقدي لُغوي، أدبي. فإنّ توجيهه إلى الدراسات التاريخية مهم مثله مثل مصطلح التفكيكية، ولا بأس من توظيفه هنا.. أنظر على سبيل المثال: ألون منسلو، دراسة تفكيكية للتاريخ، ترجمة قاسم عبد قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2006، عبد الملك مرتاض، نظرية التقويض: (مقدمة في المفهمة والتأسيس)، **علامات في النقد**، مج 10، ج34، شعبان 1420هـ، ص 280، وما بعدها، الرويلي والبازعي، **دليل الناقد الأدبي**، المركز الثقافي العربي، ط3، 2002م، ص 107، وما بعدها..

وحشاها مُنتحلوها بالكثير من مختلقات الحوادث، وركّبُوا فيها العديد من الرّوايات، والشُخوص، ووظفوا ذلك للإدّعاء باطلًا بقيام سلطة سياسيّة، وإمارة حاكمة في إقليم عسير سراتهُ، وتهامته، امتدت بزعمهم خلال العصور الإسلامية الوسيطة والمتأخرة من أطراف اليمن، والمخلاف السليماني، وجميع تهامة الشامية إلى الطائف غربًا، وأكثر بلاد العارض شرقا، كما تعرّضت هذه الدراسة لمناقشة، وردّ جوانب مما ورد عند بعض المعاصرين من الباحثين، الذين اغترّوا ببعضِ ما روجته تلك المدونات، فحاولوا الإيهام بوجود إمارة لليزيديين وقيام كيانات حاكمة، أو أولئك الذين سعوا إلى تمحّل بعض الإشارات هنا وهناك فصنعوا منها هيكلًا لنشاطٍ علميٍّ مؤثر، وأُسرٍ علمية متجذرة في هذا الإقليم قبل ظهور أسرة العلامة محمد بن موسى العجيلي الزَّبيدي في بلدة رُجال في تهامة عسير. وقبل وصول الدولة السعودية الأولى التي كان لها الفضلُ في الإنتقال بعسير من طور الظلام والجهالة والإنكفاء على الذات، إلى النور والعلم والفروسية، وتوظيف الطاقات العظيمة الكامنة في المساعدة على بسط نفوذ الدولة السعودية في الجزيرة العربية، ونشر الدعوة الإصلاحية. وكان المُعتمدُ في تفنيد هذه الأقوال والآراء التي روّجت لها تلك المؤلفات، والمدونات، والأبحاث؛ هو التوثيق، والاستدلال من مصادر معتبرة، وموثوقة، ومعاصرة للحدث، ونقل العديد من نصوصها في كلّ قرنٍ من القرون الإسلامية منذُ الثالث الهجري/ التاسع الميلادي إلى دخول عسير تحت سلطة الدولة السعودية في صدر القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.

وتتضمن نصوص هذه المصادر والوثائق الأصيلة أدلّةً واضحة

ودامغة على عدم وجود أيّ سلطة سياسية حاكمة لا لمن يسمّون بالأمراء اليزيديين، ولا غيرهم؛ عدا سلطة القبيلة، وشيوخها، وعرائفها؛ ولم يكن هناك نظامٌ ولا قوانين شرعية مرعيّة غير قوانين، ونظم العرائف القبلية. مع التنويه بأنني في هذا العمل العلمي الموجز لم أجعل تلك المؤلفات الزائفة، ولا تلك البحوث، والكتابات المعاصرة التي انساقت خلفها، واعتمدت عليها وقبستْ منها، ومن بعض النصوص، والروايات الهشّة، وبنَتْ عليها محاولات، واجتهادات ركيكة لترسيخ وجود إمارة أموية يزيدية، وكيانات سياسية حاكمة، أو تصوير وجود نشاط علمي بارز خلال هذه الفترة الزمنية؛ أقولُ لم أجعلها هدفًا، ولا غرضًا رئيسًا للنقد، والرّدّ المفصّل على ما ورد فيها من تُرهات، وأباطيل؛ ومناقشة ما ورد فيها من آراء، واستنتاجات قامت على نصوص زائفة، ومقاربات فجّة؛ ومن المعلوم أن ما بُني على باطل فهو باطل؛ بل جعلتُ الغرض الرئيس منه هو نقلُ، واستمداد النصوص المصدريّة، والوثائق الصحيحة الواضحة من مصادرها الموثوقة، التي ينفي محتواها ومضامينها، وينقضُ وجود أيّ كيان سياسي لما يُسمى بإمارة اليزيديين؛ مصحوبةً بتعليقات موجزة أربطها أحيانًا ببعض نصوص تلك المُزيّفات، ومن ارتكن إليها، سعيًا لتفنيد كلّ قولٍ، أو رأيٍ، أو مقاربة تحاول الدّسّ من هذه الزاوية، أو تلك، والإيهامً بوجود كيان سياسي قائم، وممتدّ، ومتوارث في هذه البلاد خلال النفوذ القبلي البحت لكلّ قبيلة من قبائل هذا الإقليم، والذي كان كلّ شيخ قبيلةٍ، وعريفةٍ فيه له حدوده المكانية، ونفوذه المحدود على قبيلته دون القبيلة الأخرى المجاورة.

مدخل

الحمد لله رب العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فيعدُّ التزوير، والتزييف في التاريخ، وطمسُ الحقيقة أمرًا خطيرًا لأنّه يؤدي إلى تغيير الوقائع التاريخية، وحقائقها الثابتة سواءٌ ما يتعلّقُ منها بتاريخ بلدانٍ، وجماعات، وأحداثٍ، أو يتناول تاريخ أفرادٍ وشخصياتٍ مهما كانت من إيجابيات أو سلبيات، وذلك بتغطيتها بسرابٍ بقيعة، وإلباسها لَبوسًا ذي بريقٍ زائف؛ وإبرازها فِي حللٍ قشيبةٍ خادعة، من خلال الاختلاقِ، والتركيب، والدّسّ والتبديل لأحداثٍ، ووقائع مزيّفة، وشخوصٍ ليس لهم وجودٌ في واقع الأمر؛ وهذا شيءٌ ليس بجديدٍ في تاريخنا العربي، والإسلامي؛ ومن ثمّ فليس إقليمُ عسير بِدعًا في هذا الجانب؛ لكنّ المدهشَ فيه هو كيفَ تهيأ لأولئك الذين نسجوا تلك المدونات، وحشوها بذلك الكم الهائل من المختلقات، ثم مزجوها بكلّ دهاءٍ ببعض الأحداث، والشخوص التي لها بعض وجود في أرض الواقع التاريخي، ثم دسُّوا فيها منظوماتٍ شعريّةٍ موزونةٍ ومقفّاة، كما زرعوا وريقات بين بعض مؤلفات آل الحفظي، ونحلوا مدوناتٍ أُخرى على أنّها مذكرات، ومؤلفات، ورسائل لأشخاصٍ منهم مغمورين، غير مذكورين ولا معروفين؛ وذهبوا يروجونها، وينشرونها بشتى السُّبل، والوسائل حتى اغترّ بها بعضُ الباحثين والمؤلفين على اختلاف طبقاتهم، وتخصصاتهم ممن أعوزهم بُعد

النّظرِ في ماجريات هذه المدونات والمؤلفات، وافتقدوا الحس النقدي التاريخي، والعُمق في البحث، والصبرِ على الغوصِ في محتويات المؤلفات التاريخية لعلماء، ومؤرخين في البلاد المصاقبة لهذا الإقليم؛ أو ممن ركبوا مطيّة العصبيّة، والانحياز والميول[1].

والهدف أولًا من هذا الكتاب هو الدلالة من خلال نصوص المصادر الأولية الموثوقة، والموثّقة على زيف ادّعاء تلك المدونات التي ذهبت إلى وجود سلطة سياسية حاكمة خلال العصور الإسلامية الوسيطة والمتأخرة في هذا الإقليم، وسعت إلى تركيب أحداثٍ، واختلاقِ أسماء أمراء وشخصيات خيالية لا وجود لها إلّا في مخيلة أولئك المدونين الزائفين، ومن اغترّ بهم، وانساق خلفهم.

وثانيًا: بيان خطل وافتئات فئة من الباحثين علمت ما في هذه المُؤلفات من زيف، واختلاق؛ ولكن ساقهم التعصّب، والميل، والهوى، مصحوبةً بنظرة إقليمية قاصرة، كما استولت على

---

(1) من هذه المؤلفات المختلقة: مايسمى بمجموعة «إمتاع السامر» بأجزائه، وما تأثّر بها، ودسّ منها في تضاعيف مؤلفاتٍ أُخرى كمؤلفات عبد الله بن مسفر (أخبار عسير، والسراج المنير)، ومذكرات سليمان باشا، وكتاب تاريخ عسير في رسالة ابراهيم الحفظي، تعليق للوصال البشري، ، ورسالة زين العابدين الحفظي، ومذكرات سليمان باشا، والعقد الثمين المنسوب لعاكش، والظل الممدود، وتكملته التي سماها مُزيّفها: نفح العود، ونسبها إلى فقيه علّامة من أبرز علماء الحفظي، والذي ليس له صلة بتلك الترهات، ولا هو ممن يقضي وقته في متابعة وتدوين تلك الأباطيل. . الخ تلك القائمة.

بعضهم، وخالطتهم فجيعة جعلتهم يفقدون الاتزان العلمي، والسياق المنهجي السليم، ودهمهم اضطرابٌ في المفاهيم الصحيحة، الأمر الذي جعلهم لا يُصدقون أن يكون إقليمٌ واسعٌ مائجٌ بأهله وساكنيه ـ كعسير ـ لا يوجدُ له زخمٌ تاريخيّ مستمرٌّ، وليست له حكومات وإمارات كغيره من البلاد المحاددةِ له، والمشتركةِ معه في الامتداد الجغرافي، والتركيبة السكانية؛ فاسترقّتهم العاطفة، واختلبتهم العصبية المقيتة، وقادتهم النّظرة الإقليمية الضيّقة، مع ما أصابهم من عمش الجهل بهذه النصوص، ومصادرها، وغبشُ الفكر إلى الانسياق تارةً جهرةً، وأُخرى من طرفٍ خفيٍّ إلى دعاوى غير مستساغة، وباطلة، لا تقومُ على أي دليلٍ حقيقي، أو بيّنة قويّةٍ واضحة، ولا تنهضُ بها حُجّة؛ بل لا تتجاوزُ اجتهادات، ومقاربات ضلّت سُبل النهج السويّ، والمنهجية العلمية السليمة في التحليل، والتعليل والاستنباط. .

ومن أسفٍ أنّها ترددت عند بعض الباحثين والكتبة المعاصرين؛ وما زال يلوكها، ويُدندنُ حولها بعضٌ آخر من طبقة العامّة، وأنصاف الباحثين، وغير المتخصصين.

وعليه فقد قام هذا العمل العلمي الذي رأيتُ أن أتصدى له، وأضطلَع به ابتغاء البحث عن الحقيقة، والوصول إليها في هذا الموضوع الذي يُعدُّ قديمًا حديثًا؛ فما إن يتوارى نتيجة تهالكه حتى يعمد بعضهم إلى إعادته إلى السطح جذعة من منطلق ما ذكرته سابقًا؛ ولذلك رأيتُ أن أضعَ فيه مُؤلّفًا يتناول أطرافه، ويُحيطَ بجوانبه، ويقف على مفاصله، ويسبر أغواره[1]؛ وما

(1) سبق فيما قبل عشرين عامًا أن تصدّى لنقد بعض هذه المؤلفات المزورة والمختلقة المعروفة بمجموعة امتاع السامر، وتفنيد =

ولجته إلّا بعد تجربةٍ، ومعرفةٍ عريضةٍ بكثيرٍ من المصادر التاريخية مخطوطها ومطبوعها، تلك التي تتعلّق بتاريخ جنوبي الجزيرة العربية الوسيط، والمتأخرِ، وتاريخ اليمن منه تحديدًا، وخاصّةً ما له صلةٌ بتاريخ الزيديةِ، ومصادرها، ولله الحمدُ، والمنّة؛ ثم ما تيسرَ من مخطوطاتٍ، ووثائق صحيحة بعيدةٍ عن الزّيف، والاختلاق من الخزانة الحفظية؛ ولم أكن لألجَ هذا المهْمَه دون زادٍ، ولا عتادٍ، ولا عُدّة؛ والفضلُ لله وحده.

وعليه فقد ألزمتُ نفسي وقتًا ليس بالوجيز بالصبرِ والجلَد على تتبعِ تلك المؤلفات، والمدونات، المعاصرة للأحداث؛ والقراءةَ الفاحصة لكلّ ما وقع تحت يدي منها سواء كان مخطوطًا، أو مطبوعًا، أو وثائق؛ والغوصِ في نصوصها باحثًا ومُنقّبًا عن كلّ ما يمتُّ للموضوع بصلة، ومن ثمّ الانكبابُ على جمع مادة هذا الكتاب، ومقارنة ما ورد فيها قرنًا قرنًا منذُ بداية العصور الاسلامية الوسيطة وحتى القرن الثالث عشر الهجري بما ورد في تلك المزيّفات؛ وقد أمدّتني هذه المصادر الموثوقة بمادّة علميّة جيدة استطعتُ من خلالها ـ بفضل الله،

= ما ورد فيها أساتذة فضلاء، وباحثون معروفون تكليفًا وإشرافًا من دارة الملك عبد العزيز، وتُوّج ذلك بصدور موافقة المقام السامي على توصية هؤلاء الباحثين باعتبارها مؤلفات مزورة، والتحذير منها، وتعميم ذلك على الجمعيات والجامعات والمراكز البحثية، وأن تتولى وزارة الإعلام إشهار ذلك (**جريدة الوطن**، العدد 2185، السنة السادسة، 30 شعبان 1427هـ/ 23 سبتمبر 2006م. لكن هؤلاء الباحثين الفضلاء اختطُّوا نهجًا مختلفًا يكادُ يكونُ سطحيًا، ولم يعتمدوا على نصوص المصادر الأصلية؛ وهو النهج الذي اختطّه هذا الكتاب؛ ومن الله تعالى أستمدّ العون، والسداد.

وحسن عونه وتوفيقه ـ نقض، وتقويضِ نُصوص تلك الروايات المختلقة روايةً رواية، وفصمت عراها عُروةً عروة؛ وكانت والحمد لله هي المُعتمدُ في تفنيد تلك الأقوال، والمرويات، والآراء التي روجتها تلك المؤلفات، والمدونات، والأبحاث؛ وقد نهجتُ في هذا طريقًا يقوم على ذكرِ نصوص كلّ قرنٍ من القرون الإسلامية منذُ الثالث الهجري/التاسع الميلادي إلى دخول عسير تحت سلطة الدولة السعودية في صدر القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ومن ثمّ مقارنتها بما ورد في تلك الـمُزيّفات للوقوف على مواضع الخلل، والزيف فيها.

ومن ينظر في هذه النصوص المصدريّة سيقف على أدلّةٍ واضحة، وحُجج دامغة على عدم وجود أيّ سلطة سياسية حاكمة لا لمن يسمّون بالأمراء اليزيديين، ولا غيرهم؛ عدا سلطة القبيلة، وشيوخها؛ وسيتبيّن حالة الصراع، والفُرقةِ، والعداوات، والإحن التي كانت تضربُ أطنابها بين قبائل الإقليم، وتدمغُ علاقات بعضها ببعض؛ ناهيك بما حملتهُ بعض نصوصها من سُقم البيئة العلمية، والفكريّة خلال هذه الفترة، وأنّها ليست كما يُصوّرها بعضُ الباحثين الذين بالغوا في تكوين، وخلق بيئة علمية ليست حقيقية وفق الواقع الذي تصوره تلك النصوص، والوثائق التي عُدتُ إليها، والتي تحكي واقعًا مختلفًا كلّيًّا قبل أن تشهد هذه البلاد حراكًا سياسيًا ظاهرًا، ونهضةً فكريّة، وتصحيحًا للعقيدة، وتنقيتها مما شابها من درن الجهل، وأوشاب الصوفية عقب دخولهم تحت نفوذ الدولة السعودية الأولى، ووصول الدعوة الإصلاحية التي طبّقت عسيرَ منذُ سنة 1215هـ/ 1800م، وانتقلت بأهله ـ كما

سبق القول ـ من ظُلمة الجهل إلى نور العلم، ومن حالة الإنطواء، والتناحر إلى طاقةٍ إيجابية أضحت أحد أعمدة الدولة السعودية، وساعِدها القويّ الذي أسهمَ في بسط نفوذها، وتعزيز هيمنتها. وقد عرّجتُ في عقبِ البحث إلى تبيان أثر علماء آل بكري العجيلي في النهوض بالحياة العلمية، والفكرية، والأدبية في هذا الإقليم.

تمهيد

يُعدّ إقليم (منطقة) عسير الذي كان يُعرفُ قديمًا بـ«جُرش»، والسراة[1] أحد أقاليم الجزيرة العربيّة في العصور الاسلامية الوسيطة، وإن كان قد بدأتْ أهميّته بعد ضمّه إلى الدولة السعودية الأولى التي امتدّ سلطانها من البحر إلى البحر، ومن اليمن إلى تخوم العراق، والشام في أقصى اتساع لحدود هذه الدولة الفتيّة خلال النّصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي قبل أن تتقوّض نتيجة اجتياح جيوش محمد علي باشا لعاصمتها الدرعية بأمر الدولة العثمانية عام 1233هـ/ 1818م. ومن المعلوم أنّ عددًا من المنتسبين إلى هذه البلاد من الأزد، ومذحج، وغيرهم قد وفدوا على النبيّ ﷺ، والتحق بركب الدولة الإسلامية الأولى في عهد النبيّ ﷺ، وخلفائه، وكان لهم أثرهم في المشاركة في حركة الفتوحات الاسلامية الأولى[2]، ومن ثمّ تفرّق هؤلاء في شتى

(1) من المعلوم أنّ مصطلح «عسير» الجغرافي مصطلحٌ حديث، فلم تكن معروفة كوحدة جغرافية، وإدارية خلال العصور الاسلامية الوسيطة؛ بل لم يظهر كمسمى جغرافي، وإداري إلّا في مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر ميلادي. أنظر غيثان بن جريس، **صفحات من تاريخ عسير**، الجزء الأول، ط2، 1994م، ص9 ـ 10.

(2) طرق هذا الموضوع عدد من الباحثين المعاصرين، ومنهم غيثان بن جريس، وعمر غرامة.. وأسهب عبدالله أبو داهش في =

البلاد الإسلامية المفتوحة، ولم يعودوا إلى بلادهم، ونتيجةً لذلك افتقدت عوامل الديمومة لهذا الحِراك، وران على ساكنيه من خمول، وانكماشٍ في بلدانهم، وانغلاقٍ على أنفسهم، وانشغالٍ بمعايشهم، وانغماسٍ فيها حتى أنستهم الهمّة في طلب العلم، والرّحلة لأجله.. مع طبيعة أرضهم الجبلية القاسية؛ كلّ ذلك، وربما غيره من أسباب قد أدّتْ بهم إلى ما يسميه بعض الباحثين بالعتمة، والفجوة القاتمة، وتوقّف حركة التاريخ عندهم طوال العصور الوسيطة، وحتى القرون المتأخرة؛ وهذا سببٌ وجيه في أنّها لم تشهد نهضةً علميّةً، ولم يهتمّ أهلها بالعلم، والتعليم حتى العصور الحديثة ـ كما سيأتي بيانه ـ وعندما هبط فرعٌ من العُجيليين أهل بيت الفقيه في زبيد إلى رجال ألمع أواخر القرن العاشر، وأوائل الحادي عشر الهجريين أوقدوا جذوةً يسيرةً في جزءٍ من الإقليم الواسع؛ وما لبث أن أشرقت عليها شمس الدولة السعودية، والدعوة الإصلاحية بمشعل التوحيد، فأشعلت في هذا الإقليم شُموع المعرفة، وحرّكتْ فيه التاريخ الرّاكد، ونفضت عن إنسانه ما ران عليه من الجمود، فأضحت بلاد عسير متوهجةً مشاركةً في حركة البناء والحضارة.

ولأجلِ الخروج بدراسة نقديّة موثّقة فقد استبطنتُ على مهلٍ كلّ ما وقعَ تحت يدي من المصادر وبخاصة المصادر اليمنية المعاصرة الموثوقة، ومؤلفات آل بكري بن محمد بن موسى العجيلي المخطوطة منها على وجه الخصوص، وغيرها مما تيسر لي الاطلاع عليه قدر المستطاع؛ وبذلتُ الوسع في

= الكتابة عنه في كتابه أهل السراة في الجاهلية، والإسلام، إصدارات نادي أبها الأدبي، 2006م.. في صفحاتٍ كثيرة.

التنقيب، والتنقير في هذه المصادر، والمدونات علّني أجدُ ولو إشارةً إلى شيءٍ من إمارةٍ أو دولةٍ قامت في بلاد عسير والسراة قبل القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وانضمامها تحت حكم الدولة السعودية الأولى فلم يتيسّر ذلك؛ بل وجدتُ مادةً علميّة وإشاراتٍ كثيرة إلى أنّ هذه البلاد كانت منغلقة على ذاتها، يسودها النظام القبلي والعشائري فقط، وأهلها منكفئون على أنفسهم، مهتمون بخصوصياتهم، منصرفون إلى حيواتهم، ومنشغلون بمعايشهم؛ وكان لكلّ قبيلة استقلالها، ونظامها القبلي في الموضع الذي تسكنه، وشيوخها، وأعرافها، وحدودها عن القبيلة الأخرى[1]؛ وعليه فقد كانت العداوات، والإحن، والصراعات والحروب، والنهب والسلب هو الغالبُ على العلاقة بين القبائل بعضها ببعض[2]، والتي تقود في أحيانٍ كثيرة إلى حروبٍ وسفك الدماء، بسبب طمع بعضها في أموال بعض؛ ونتيجةً لعدمِ وجود حكومة ينضوون تحتها كانت بعض القبائل تُسارع إلى تقديم خدماتها الحربيّة بأجرٍ لمن يطلبها من القوى السياسية من خارج بلاد عسير كأئمةِ اليمن، وأمراء المخلاف السليماني، وغيرهم.

---

(1) انظر على سبيل المثال: محمد الأكوع: **هجر العلم ومعاقله في اليمن**، ج1، دار الفكر المعاصر (بيروت، 1416هـ/ 1995م)، ص453 ـ 455، محمد آل زلفة، **دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتأثيرها على مقاومة بلاد عسير ضد الحكم العثماني المصري من عام 1226 ـ 1255هـ**، ط1، الرياض 2003م، ص6.

(2) علي أحمد عسيري، **عسير من 1249 ـ 1289هـ دراسة تاريخية**، نادي أبها الأدبي، 1987م، ص 115، وما بعدها.

وقد حاولتُ في هذا الكتاب جمع النصوص من مظانّها، والتأليف بينها، مع اتباع المنهج التاريخي في التحليل، والتعليل، والمقاربة في بعض مواضع ومفاصل هذا البحث؛ وإن كُنتُ قد قصدتُ في المقام الأول الجمع لكلّ ما وقع تحت يدي من هذه النصوص المصدريّة كأدلّةٍ لدحض، وتقويض تلك الدعاوى الباطلة حول وجود سلطة سياسية قائمة في هذه البلاد؛ ولتكون هذه النصوص كمادة أولية بين أيدي الباحثين والمهتمين لمن رغب التوسّع في دراسة هذا الجانب من تاريخ عموم بلاد عسير، سراتها، وتهامتها.

ولكثرة النصوص والأدلّة الموثوقة من المؤلفات المصدريّة رأيتُ أنّ الأمر سيطول، وربما خرج بي عن الحدود التي وضعتها لهذا المُؤلّف، فاقتصرتُ على إيراد بعضها فقط متنقلًا بين العصور، فأذكرُ بعض الأمثلةِ دون استيعاب جميعها، ففي القليل ما يدلُّ على غيره، ويكفي من القلادةِ ما أحاط بالعنق.

فمن هذه الدعاوى التي دندنوا حولها كثيرًا. وما زالوا؛ إيمانهم بوجود إمارة لليزيديين المنتمين لبني أمية في عسير أو كما يسميها البعض - مخاتلةً - بـ«الكيانات القبلية الكبرى»، ولكن سكتت المصادر - بزعمهم - عن ذكرها، أوالإشارة إليها، وعندما عميت عليهم المحجّة البيضاء، والحُجّة الواضحة ذهبوا يستدلّونُ قياسًا بإمارة بني حرام في حلي بن يعقوب، ثم تستدرجهم الجهالةُ بالمصادر إلى القول خطلًا بأنّ ابن بطوطة وحده هو من أشار إلى هذه الإمارة؛ ومن ثمّ سحبوا هذا الاجتهاد الضحل على إمارة اليزيديين التي بدورها سكتت المصادرالتاريخية المعروفة، ومالت عن ذكرها، والتنويه عنها لكونهم - في زعم هؤلاء - ينتمون إلى الأمويين، وذرية يزيد بن معاوية تخصيصًا؛ وهذا من العجب

العجاب. كما يفتئتون فيذكرون أنّ أحد الأسباب يعود إلى قيام أتباع الدعوة الوهابية، والدولة السعودية بإخفاء، وتدمير المصادر العسيرية القديمة التي تحدثّت عنها، وأرّخت لها - كما سيأتي بيان ذلك - ثمّ اتكاؤهم على مؤلفات تسرّب إليها الكثيرُ من الزيف، وخالطها الاختلاق حتى أذهب معالم الصواب فيها، مما سبقت الإشارة إلى بعضها؛ وعليه فقد ذهب ثُلّةٌ من الكَتَبَة المعاصرين إن بقصد عصبيّة وميلٍ عن الحقّ، أو عن قلّة علمٍ، وقصرِ باعٍ في البحث والتمحيص، أو نتيجة اغترارهم ببريق نصوصها المخادع حتى أفقدهم حاسّة التبصّر، والبصيرة؛ فانجرّوا إلى الترويجِ فيما كتبوه عن عسير لهذه الإمارة المُختلقة، والانغماس في ترديدِ ما نظموه فيها؛ وركّبوا سلاسلَ من الشخصيّات الوهمية بزعمها كانت تحكمُ في إقليم عسير، سراته وتهامته الأدنى[1] أكثر من عشرة قرون[2]؛ وهذه جهالةٌ جهلاء، وضلالةٌ عمياء، وادّعاءٌ باطلٌ لا أصل له، ولا يستقيمُ لمن يحاول الاجتهاد، والمقاربة من خلال الرّبط بين إمارة «حلي»، وما يزعمه من إمارة لليزيديين في عسير[3]. فعلى الرّغم من أنّ إمارة بني حرام في حلي بن

(1) القصدُ بها هنا: رجال ألمع، وما حولها فقط.

(2) ممن اغترّ بذلك، ومال إليه: محمود شاكر في كتابه، شبه جزيرة العرب (عسير) ص56، عمر غرامة العمروي في كتابه: قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام من 1500ق م - 1200هـ، نادي أبها الأدبي، 1991م/1/ 50، وما بعدها 826 وما بعدها، وعبدالله أبو داهش في كتابه: أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة، مطابع مازن، أبها 1997م، ص36، وما بعدها. .، وغيرهم.

(3) علي آل قطب، **الأمراء اليزيديون، عسير تاريخ لم يكتب**، طوى للثقافة والنشر، لندن 2013م، ص100.

يعقوب لا تُقاس بما أضفته مصادرهم المزيّفة من هالة عُظمى على إمارتهم المزعومة في عسير؛ فإنّ إمارة بني حرام إمارة معروفة، وحقيقية؛ وكانت قائمة في الإقليم منذُ العصور الإسلامية المبكرة، واستمرّت حتى العصور المتأخرة؛ ووردت الإشارةُ إليها في المصادر المكيّة، واليمنية، ومصادر تاريخ المخلاف السليماني، وغيرها[1].

ثمّ إنّ الباحث الصّبور، والقادرِ على استبطان ثنايا المصادر وبخاصة المصادر اليمنية، والحجازية، بل وفي غيرها سيجدُ لا محالة كثيرًا من الإشارات، ومن المادّة العلميّة عن هذا الإقليم، وبخاصّة ما كان منه متاخمًا للحجاز، واليمن؛ وهو ما سوف يسعى هذا العمل العلمي المتواضع لإبرازه، والتنويه به.

ولعلّ من العجب العجاب ما ورد في تلك المدونات المزيّفة، والمصنوعة من النصوص الباطلة التي اغترّ بها البعض، وانخدع دون بصيرة ناقدة، ولا منهجٍ تاريخيّ سويّ، أو أثارةٍ من علم، أو حتى مصدرٍ تطمئنّ النفسُ إليه مما هو مشهورٌ في المكتبةِ التاريخية المعروفة، ولا دليلٍ واضحٍ جليٍّ موثوق. وفحوى هذه الدعوى الغريبة أنّ هذا الإقليم قد دَخل تحت سلطة

---

(1) وردت الإشارة إليها في كثير من المصادر المبكرة منذُ ابن حوقل، ومن بعده، كما لا يكاد يخلو مصدر من المصادر المكيّة، واليمنيّة، وغيرها من إشارة إلى الإمارات، والأمراء المتعاقبين على إمارة حلي بن يعقوب. أنظر التفاصيل عند أحمد بن عمر الزيلعي، إمارة حلي بن يعقوب(آثارها وتاريخها في العصور الإسلامية الوسيطة وبواكير العصور الحديثة)، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، الرياض، 2021م، ص91، وما بعدها.

الدول، والسلطنات الإسلامية التي قامت في مصر، وامتدّ بعض نفوذها إلى الحجاز.

وإليك ما ورد عند وهبي الحريري[1] وعبدالله أبي داهش[2]، وقبلهم محمود شاكر السوري[3]، وعمر غرامة العمروي[4] وغيرهم عندما ذهبوا ينقلون فيما يُشبه التأكيد والتسليم بالقول الذي افترته بعضُ هذه المُزيّفات من أنّ نفوذ الدولة الطولونية (254هـ ـ 292هـ)، وحُكمها قد امتدّ حتى وصل إلى عسير، وكذلك وصول سلطة الدولة الفاطمية إليها؛ بل المثير للدهشة القول بأنّه لمّا حكم الأيوبيون مصر مدّوا نفوذهم، وسلطتهم حتى عسير، ودانت لهم بالطاعة والتبعية حتى سقوطهم سنة 648هـ/ 1250م؛ ولم يقتصر الأمرُ عند هؤلاء الكَتَبة على هذا الادّعاء؛ بل تأخذك الحيرة، وينعقدُ منك اللسان من تماديهم في الباطل عندما زعموا أنّ صلاح الدين الأيوبي قد أرسلَ يطلب في سنة 583هـ/ 1187م من أمير عسير حينذاك المسمى سليمان ابن موسى اليزيدي الأموي تزويده (بقوات) ـ كذا ـ لدعمه في

(1) في كتابه: **عسير تراث وثقافة**، ط1، مطبعة شركة العبيكان 1987م، ص19 ـ 21.

(2) في كثير من إنتاجه، ومنها على سبيل المثال، أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة، مطابع مازن، ط1، أبها 1997م، ص29 ـ 30، بيوتات العلم بقبائل رجال الحجر في العصر الحديث، **مجلة العرب**، دار اليمامة، مج28، ع8، 7، 1993م، ص 467، وما بعدها.

(3) في كتابه «**عسير**»، المكتب الإسلامي، المكتب الإسلامي 1981م، ص120، على سبيل المثال.

(4) في أكثر صفحات كتابه: **قبائل عسير في الجاهلية والإسلام بجزءيه، نادي أبها الأدبي، طبعة 1991م.**

إخراج الصليبيين من فلسطين، وبناءً على طلبه بعث جيشًا قوامه (14) ألفًا من قبائل عسير بقيادة الفارس مالك بن سنان المريدي. . . [1].

ثم سادتها الفوضى بعد ذلك، ووليها عددٌ من الأمراء والمشايخ إلى أن حكمها المماليك سنة 923هـ/ 1517م. وهذا من الغرائب؛ فكيف يحكمها المماليك في مرحلة انكماشهم، وسنة سقوطهم، ونهاية دولتهم؟![2].

على أنّ الإنصاف يقتضي أن نشير إلى أنّ هناك باحثين أدركوا خطل من ذهب إلى وجود كيان سياسي قائم ومتوارث عبر العصور الإسلامية في عسير، ونحوا إلى أنّ هذه المنطقة عاشت

---

(1) أنظر أيضًا: عمر العمروي المرجع نفسه، 1/ 269 وما بعدها. «سبحانك هذا بهتانٌ عظيم». وسيأتي في ثنايا البحث أن هذه البلاد كانت في هذه السنين تعيشُ في فوضى، وصراعات قبلية، وانقطاع الأمن فيها، ولا يمكن بحال أن يصل عدد سكانها بأجمعه إلى هذا العدد.

(2) أول من تولّى كبرهُ في هذه المعلومة المغلوطة هو محمود شاكر في كتابه: «شبه الجزيرة العربية ـ عسير ـ ص 126، وزعم أنّه نقلها عن مدوّنة سمّاها: مذكرات جعفر الحفظي، ثم نقلها عنه جماعة منهم وهبي الحريري في كتابه «عسير تراث وحضارة»، وجاء أبو داهش فنقلها دون بصيرة في كتابه» أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة، ص29 ـ 30 عن الحريري. . والغريب أنه لم يرجع لشاكر. . وكلّ ما سبق هي أقوالٌ لا تصح، ولا يوجد ما يسندها، ناهيك بما فيها من زيفٍ واضح؛ وأخطاء ظاهرة لمن تأمّل، فالحريري (ت 1415هـ) مجرّد مصور سوري الأصل زار عسير (أنظر: رياض أباظه، اتمام الأعلام، دار صادر 1999، ص275)، ولكن العجب من أبي داهش، وهو باحث معروف أن ينقل دون بصيرة عن الحريري كالمثبت لقوله.

في عتمة حالكة منذُ أواخر القرن الرابع الهجري حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجري[1].

والمنطلق الثاني لهذه الدراسة هو أيضًا دعواهم التي تدور حول أنّه كانت هناك مؤلّفات تتعلّق بتواريخ وتراث إقليم عسير والسراة، قد ضاعت، وأُتلفت إمّا نتيجة الإهمال، وعدم الاكتراث؛ أو نتيجة لبعض الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية كالحروب العسكرية التي تعرّضت لها عسير[2].

ومنهم من ينظر بتوجس، وسوء ظنّ إلى انعدام، أوقلّة المادة العلمية عن تاريخ عسير في الفترة التي سبقت وصول الدولة السعودية الأولى، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عسير، وينسبُ هذه العتمة التي رانت على تاريخ عسير - المزعوم - والغموض الذي لفّ تاريخ الإقليم قبل وصول الحركة الوهابية - وفق قوله - ومومئًا من طرفٍ خفيّ إلى أنّها السبب فيما وقع لهذا التاريخ من اجتثاث للماضي بجميع «أشكاله وصوره»، والانعتاق مما يتعلّق به فكريًا وثقافيًا،

---

(1) على سبيل المثال: هاشم النعمي، «عسير: قبيلةً وبلادًا»، **مجلة العرب**، ج3، س27، رمضان 1412هـ، ص198م، وغيره وسيأتي مناقشة بعض ما ورد في قوله هذا.

(2) على سبيل المثال: أحمد آل فايع، دور آل المتحمي في مدّ نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى عسير وما جاوره! (1215هـ - 1233هـ) ص50، وقد سرد عمر غرامة العمروي في كتابه: قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام من 1500ق م - 1200هـ، نادي أبها الأدبي 1991م، 1/ 64، وتبعه غيثان بن جريس في كتابه: دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ط1، 2003م، د.م، ص306، مجموعةً منها؛ وكلّها مؤلفات مزيّفة، ولا وجود لها البتة إلّا في مخيلة من اختلقها.

واجتماعيًا؛ ويربطُ ربطًا عجيبًا غير مستساغٍ بين فكر، ونهج هذه الدعوة، وإلصاق إتلاف تلك المصادرً التاريخية والتراثية العسيرية القديمة التي أرّخت لذلك الإرث السياسي والحضاري العسيري المهم، والفاعل ـ بزعمهم ـ عن قصدٍ بقدوم الجيش السعودي، والدّعوة الإصلاحية، حيث ـ يرون ـ أنّها أسهمت وبما تحمله، ويحمله دعاتها وعلماؤها، ورؤوسها من فكر، ونهج يقوم على خلع الماضي المظلم، واستبداله بحاضر الدعوة في أًستهداف هذا الإقليم دون غيره فأمروا ـ من ثمّ ـ بإحراق وإتلاف كتب التاريخ والتراث العسيري[1]؛ وينزعون إلى أنّ هذا هو التفسير الحقيقي، والمنطقي لعتمة تاريخ عسير قبل الدعوة، والدولة السعودية الأولى؛ ويرون أنّه ونتيجة لهذا الفكر الذي حمله هؤلاء إلى عسير فقد تأثّر به أهلها وانعكس ذلك في قيامهم بالتخلّص مما في أيديهم من تراثٍ علمي، ومؤلفات، وفكر وأدب، وثقافة مكتوبة[2].

ولكي يُرسّخ هذا الرأي عند من لا يعي تاريخ هذا الإقليم فقد ذهب يُبالغ في تمحّل الأدلة، واستنطاقِ بعض الإشارات البعيدة، ومحاولة التعلّق بما هو أوهى من خيط العنكبوت فكان أن أبعد النّجعة فاستدلّ ـ فيما يُشبه المقاربة، والقياس ـ بما ذكره ابن عبد الشكور، من أنّ جيش الدعوة قام حينما دخل الطائف بإتلاف أحمال من الكتب، وإحراقها[3]؛ ثم استدرجته

(1) آل قطب، **الأمراء اليزيديون**. في صفحات عديدة منها ص104 ـ 108، وما بعدها.

(2) المرجع نفسه صص 104 ـ 105.

(3) المرجع نفسه 105، ونقلًا عنه (حاشية (3))، انظر: **تاريخ الأشراف**، لابن عبد الشكور، ورقة 411.

المقاربة[1] بعيدًا فاستدلّ بما ورد عند بوركهارت من أنّهم قد صادروا كثيرًا من الكتب عندما دخلوا مكة المكرمة، والمدينة المنورة. على أنّ من يتأمّل النّص المترجم سيجد بوركهارت قد سبقه ـ هو أو المترجم ـ بلفظ التضعيف «يُقال»[2]؛ هذا من جانب، ومن جانب آخر لا يمكن مقارنة المدينة المنورة بأهميّتها، ومكانتها كإحدى المدينتين المقدستين، وكونها من أهم الحواضر الإسلامية، وما حفلت به من علماء، ومكتبات مشهورة بعسير بمجموع قراها كافّة.

وعلى الرّغم من أنّ هؤلاء الباحثين قد ساقوا نماذج مما استهدفته الدعوة من مؤلفات وهي لا تخرج عن مجموعة من الكتب التي تحمل شطحاتٍ تميل عن العقيدة النقيّة، أو هي من كتب الصوفية، والزيدية؛ ومع اليقين بأنّ بعضَ دعاتها اشتطّ في السعي إلى نبذها كلّيّةً، واتخذ الجهلةُ من أتباعها موقفًا حادًّا منها، على غير علمٍ منهم بفحواها، ولا إحاطةٍ بمحتواها؛ إلّا

(1) المُطالع لهذا الكتاب، ولغيره من المؤلفات سيجد أنّ المقاربات هي الوسيلة، والنهج الذي يسيرُ عليه عندما يعوزه الدليل، وتقصرُ عنه الحجّة.

(2) آل قطب، المرجع السابق ص105 ـ 106؛ وورد النّصُ بصيغة التضعيف «يقال» في طبعتين من كتاب بوركهارت ـ عُدتُ إليهما ـ إحداهما بعنوان: ترحال في الجزيرة العربية، ج2، ترجمة صبري محمد حسن، المركز القومي للترجمة. القاهرة 2007م، ص 177، وورد النصُّ فيها: «يُقال إنّ الوهّابيين نقلوا أحمالًا كثيرة من الكتب بعد غزو المدينة المنورة، وهذا يعني أنهم تصرّفوا في الكتب بطريقتهم الخاصة». بينما في الترجمة المعنونة بـ«رحلات إلى شبه الجزيرة العربية» ص324، وورد النص فيها «ويُقال إنّ الوهّابيين قد أخذوا الكثير الكثير من الكتب».

أنّ هاته الفئة من الباحثين تُصرّ على لي عُنق هذه النصوص وغيرها، وعبر مقاربة فجّة تذهب إلى إسقاطها بشكلٍ أو بآخر على عسير! وحتى يستقيم لها هذا الزّعم فإنّها تقفزُ قفزات زمنية من الدولة السعودية الأولى إلى ضمّ الملك عبد العزيز عسيرَ إلى نفوذه، وتتكئ على رواية هامشية لا تقومُ بها حجّة، ولا يعضدها نصٌّ مصدريٌّ، وإنّما هي توهمات وردت في حواشي كتابين[1] تقول بأنّ أحد الشيوخ القادمين إلى عسير في أواخر السبعينيات الهجرية ـ المنتمين إلى مدرسة الإمام محمد ابن عبد الوهاب ـ قد أمر بإحراق بعض الكتب، والمصاحف في المساجد، محذّرًا ممّا فيها من مخالفات عقديّة؛ وقد أدّى ذلك ببعضهم إلى التخلّص مما في مكتباتهم من مخطوطات.. الخ[2]؛ ويذكر آل زلفة أنّ أحد شيوخ آل الحفظي قد أخبره عندما زار قرية «عثالف» بمرويّاتٍ متداولة تُشيرُ إلى أنّ معظم

---

(1) محمد آل زلفة، **عسير في عهد الملك عبد العزيز**، ص 15 ـ 16 مع الهامش(1). ومن العجيب تلك المبالغة الممجوجة ـ المغلّفة بأسلوب إنشائي ركيك ـ التي صبغت قوله من أنّ هذه المدونات المحروقة ذاتُ شأنٍ وقيمةٍ عظيمة، حيث يقول: «كانت على مرّ العصور نورًا يهتدي به العلماء والفقهاء..»؛ وهذا تدليسٌ وقولٌ يفتقدُ الحقيقة، والصدق؛ إذْ إنّ مؤلفات آل الحفظي طافحة بما يُفيد أنّ هذا الإقليم كان يعيشُ في جهالةٍ، وأُمّيّة قبيل وصول الدولة السعودية الأولى.. ويُستغرب من صاحب كتاب «اليزيديون..» أن يتكئ على هذا القول المرسل، وعلى أُخرى هامشية ردّدها مُقمّش موسوعة الآثار والتراث والمعالم السياحية في منطقة عسير، هامش، ص 108، دون أن يرفدها أو يعضدها، ويوثقها بمصدرٍ، بل هي رواية شفهية مرسلةٌ كسابقتها، ولا أصل صحيحًا لها.

(2) آل قطب، المرجع نفسه ص 108، وآل زلفة، المرجع السابق ص17.

الكتب[1] ولظروفٍ معيّنة لم يُحبّ ـ كذا ـ هذا الشيخ الحفظي الإفصاح عنها قد طُمرت، ورُدم عليها التراب في بركة قريبة من مسجد آل الحِفظي، ومدرستهم[2].

وحتى لو غضضنا الطرف ومرّرنا هذه الروايات الشفهية، وصدّقنا أنّه قد تمّ طمر بعض محتويات خزانة كتب آل الحفظي، والعجيلي فإنّ الحقيقة التي لا لبس فيها أنّ هذه المردومة والمحروقة ما هي إلّا كتب غُلاة الصوفية كالفتوحات، والفصوص لابن عربي، وكتب الشعراني، وكتاب دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النّبي المختار للجزولي(ت 870هـ)[3]؛ وغير ذلك من كتب أهلِ البدعة مما

(1) هذه مبالغة إمّا من الرّاوي كعادة الروايات الشفوية، وإما من الناقل كعادته في كتاباته، ومؤلفاته بخصوص عسير.

(2) **دراسات من تاريخ عسير الحديث**، ط1، 1991م، ص116.

(3) وردت الإشارة إلى أنّ هذا الكتاب كان مما ورثه العلامة ابراهيم الزمزمي من والده العلامة أحمد الحفظي بن عبد القادر العجيلي؛ وذكر العارفون بمضامين هذا الكتاب أنّ مؤلفه الجزولي جمع فيه من الأحاديث الضعيفة والموضوعة الشيء الكثير، بل واخترع صيغ صلوات على الرسول صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله بها من سلطان. وقد حذر العلماء منه، ومن أمثاله من الكتب التي امتلأت بالأكاذيب؛ وعلى الرّغم من أنّه قد نُقل عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إنكاره للأمر بحرقه وغيره من كتب المخالفين إلّا أنّ الرّوايات المتواترة قد جاءت بأنّ أتباعه قد أحرقوها أو دفنوها؛ يدلُّ لذلك قول العلامة محمد بن اسماعيل الأميرالصنعاني في القصيدة التي بعث بها إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومنها:

وحرّق عمدًا للدلائلِ دفترًا أصاب ففيها ما يجلُّ عن العدّ
غلوٌّ نهى عنه الرّسولُ وفريةٌ بلا مريةٍ فاتركه إن كنت تستهدي
أحاديثُ لا تُعزى إلى عالمٍ ولا تُساوي فلسًا إن رجعتَ إلى النّقدِ =

كان موجودًا في مكتبة هذه الأسرة؛ والتي جمع منها العلامة أحمد بن عبد القادر الحفظي، (ت1233هـ/ 1818م)، وغيره ممن سلفَ من أُسرته، وأهل بيته العجيلي الكثير، ناهيك بوضوحها كمصادر استفاد منها في مؤلفاته التي ماتزال مخطوطة، ونوّهَ مُثنيًا على محتوياتها، ومضامينها من شطحات عقديّة، وتصوّف تُصادمُ بشدّة ما جاءت به الدعوة الوهابية[1].

ومن الكتب التي كانت موجودة في خزانة كتبهم، ولا يبعد أن تكون مما قاموا بحرقه خشية الملامة من أتباع الدعوة؛ وهي مما عاد إليها العلامة الحفظي في مؤلفاته ومنها أيضًا كتاب: الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر لعبد الكريم بن إبراهيم الربعي الجيلي (826هـ) فقد نقل عنه العلامة الحفظي في كتبه، كما أثنى على مؤلفه؛ وعلى ما ذهب إليه من آراء،

= ..الخ ما ذكره. أنظر ديوانه، ص129، والدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، 1/ 81، وما بعدها، وحرق كتب المخالفين عند أئمة الدعوة في نجد، أعدّه فوزي فطاني، مركز سلف للبحوث والدراسات، ص23، وما بعدها.. على سبيل المثال.

(1) قلتُ: ولو اطلع هذا الباحثُ وغيره على مؤلفات العلامة أحمد الحفظي بن عبد القادر، ويأتي على رأسها شرحه المخطوط المسمى: المنير الزاهر في فضائل النبيّ الطاهر، فقد حشاه بنقول كثيرة من مؤلفات هؤلاء الصوفية التي كانت في مكتبته الخاصة التي انتقلت بعده إلى أبنائه، ومنهم ابراهيم الزمزمي(ت 1257هـ)؛ ولكان ـ غفر الله له ـ قد خفّف من غلواء مبالغاته الساذجة من أنها كانت نورًا اهتدى بها علماء وفقهاء عسير ـ بزعمه ـ على مرّ العصور. وانظر: **عقود الدرر**، لعاكش الضمدي، ص195 (ترجمة العلامة ابراهيم الزمزمي بن أحمد الحفظي).

واعتقادات خارجة عن العقيدة الصحيحة، بل ألفاظها كُفرية، والعياذ بالله[1]؛ وللعلماء الرّبانيين موقفهم منها، ورفضهم لها، وتحذيرهم منها[2]؛ ومن أبرز العلماء الذين أدركوا عصر الحفظي وحذروا مما ورد في هذا الكتاب؛ العلامة محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني رحمه الله؛ ومن طريف ما روي عنه أنّه عندما اطلع على مافيه من كُفر قام بوضع أوراقه في التنور، وأمر أهله فخبزوا له خبزًا فيه، وكان يُعاني إسهالًا مزمنًا فأكله بنية الشفاء من ذلك الداء فذهب بحمد الله ما يعانيه من ألم.. الخ[3].

(1) زعم الجيلي في مقدمة كتابه هذا أنّه من الله أخذه، وأن الله أمره بإخراج هذا الكتاب للناس وأنه ليس فيه شيء إلا وهو مؤيد بالكتاب والسنة.. وهو باطل. أنظر نسخته المطبوعة في مصر، مطبعة ومكتبة علي صبيح وأولاده.

(2) ذكر بعض العلماء أنّ الجيلي قد جمع فيه من الكفر والزندقة أعظم من كل كفر الأولين والآخرين كيف لا وقد جعل كل من عبد شيئًا في الأرض فما عبد إلا الله. بل زعم أنه ليس في الوجود إلا الله، الذي خلق الوجود من نفسه لنفسه فليس هناك إلا هو فهو الرب والعبد، والشيطان والراهب، والسماء والأرض، والظلمات والنور، والحمل الوديع والذئب الكاسر...الخ. أنظر: كتاب موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net! 7/145 مبحث: عبدالكريم الجيلي وكتابه (الإنسان الكامل).

(3) قال جامع الديوان: ولما اطلع رحمه الله على كتاب يسمى الانسان الكامل للجيلي قال فيه:

هذا كتابٌ كلّهُ جهلُ ... وخلافُ ما جاءت به الرّسلُ
هذا كتابٌ كلّ داهيةٍ ... فيه فلا عقلٌ ولا نقلُ
قد ضلّ أقوامٌ برؤيته ... فغدوا وليس لدينهم ظلُّ =

ومع وصول الدعوة الوهابية إلى عسير سنة 1215هـ/ 1800م، والتي كان حاملوها أشدّاء في تعاملهم مع مخالفيهم إلى درجة التكفير الكامل لهم، والإخراج من ملّة الإسلام، بغير حقّ، وقيامهم بإنزال أشدّ العقوبات بهم دون مراعاةٍ لمكانةِ عالمٍ وفقيه، أو منزلةِ صاحب سؤددٍ مسوّدٍ في قبيلته وبلده؛ وكذلكَ ما حصل ممن يُسمون الإخوان في الجيش الذي ضمّ عسيرًا في سنة 1341هـ/ 1922م، ومن منطلقِ الخشية مما قد يحلُّ بهم من هؤلاء، وأولئك، والسلامة لنفوسهم ومكانتهم العلمية والاجتماعية العريضة في بلادهم، وفي عموم اليمن والحجاز من أتباع هذه الدعوة، وأن يقعوا تحت طائلة اللّوم، والعقاب؛ فرأوا أن يقوموا بالتخلّص منها، مثلما تمّ هدم القبب التي كانت على قبور آبائهم(1)؛ وأعلنوا من ثمّ التبعيّة الكاملة، والانسلاخ من بيئتهم الفكريّة التي كانوا عليها طوال قرنين من الزمن أو تزيد.

وربما كذلك لا تعدو أن تكون هذه المردومة مصاحف قديمة مهترئة، وممزقة، أو كتبًا ووثائق ذات طابع شرعي مما يمكن أن يكون قد أصابته الأرضة، وأصحابها وفقهم الله إلى تطبيق السنّة في التعامل معها. ومعلومٌ أنّ ما درج عليه الناس، وما يُفتي به العلماءُ إلى زماننا هذا أن يتم إحراقها، أو دفنها إكرامًا وصيانةً

= مضمونه أنّ العباد همُ ذاتُ الإله وهكذا الجهلُ
فالرّبُ ذات العبدِ عندهمُ فهو الوجودُ الدّقّ والجلّ
. . .الخ ما قاله فيه؛ ص 322، وما بعدها، ص329، وما بعدها من ديوانه.

(1) تاريخ عبد الرحمن الحفظي، مخطوط أصله في مكتبة علي الحسن الحفظي، ومنه صورة لدى الباحث، حوادث سنة 1215هـ.

لما فيها من آياتٍ، وأحاديث نبوية، وما في حكمها، وهم إنما كانوا يطبقون مقتضى هذه الفتاوى الشرعية(1).

ومن خلال ما سبق يتضح أنّ تلك المؤلفات التي تلفِت أو أُتلفت كلّها مؤلفات ذات طابع عقدي مضلّ، أو صوفي منحرف خاصّةً وأنّ التصوّف كان موجودًا في الإقليم(2)؛ أو من كُتب الزيدية التي كانت أيضًا منتشرة بين الناس، في بيوتهم، وفي مساجدهم(3)، والتي كان أصحاب الفكر، والعقيدة الوافدة إلى هذه البلاد من نجد يقفون منها موقفًا حادًّا؛ ولذلك فكلُّ ما سبق

(1) أجاز العلماء حرق النسخ التالفة من المصحف إذا تعذر استخدامها، أو دفنها في مكان طاهر صيانة لها حتى لا توطأ بالأقدام أو تلقى على الأرض؛ واستدلّوا بما فعله الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رض الله عنه. أنظر ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ضبط نصه وعلق عليه ياسر ابراهيم، وإبراهيم الصبيحي، مكتبة الرشد، ط2، الرياض 2003م، 10/ 226.

(2) يمكن الاستئناس بما ورد في بحث: حرق كتب المخالفين عند أئمة الدعوة في نجد، إعداد فوزي بن عبد الصمد فطاني، مركز سلف للبحوث والدراسات، نسخة الكترونية، في صفحاتٍ عديدة منها على سبيل المثال: ص19، 15، 25.. وغيرها.

(3) وردت الإشارة في إحدى وثائق أحكام العلامة القاضي أحمد بن عبد القادر إلى بعض كتب الزيدية، والتصوّف كانت موجودة ومتداولة عند بعض الأسر، وبخاصّة السادة في رجال، وغيرهم، ومنها كتب «الأزهار» و«دلائل الخيرات»..الخ. كما أشار الحسن الحفظي في كتاب: مجموع في تاريخ عسير، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ص255، إلى أنّ جيش عسير الذي غزا الحديدة، والزيدية قد احتمل الكثير من كتب الزيدية مما كان في خزانة العلامة محمد بن عبدالله الزواك صائم الدهر، ونقلوها إلى عسير.

لا صلة له بتاريخ يزيديين ولا غيرهم في عسير؛ وهي من التخمينات الباطلة، والاجتهادات الضحلة التي أسّسوا عليها ـ عندما أعوزهم الدليل الصريح الموثوق ـ تلك المزاعم من غموض الواقع التاريخي في عسير قبيل وصول الدعوة الاصلاحية إليها.

ومن الغريبِ أن تجدهم يُرجعون هذه الادعاءات أحيانًا إلى بعض المدونات المنسوبة إلى بعض آل الحفظي، كمذكرات جعفر الحفظي[1] وابراهيم بن علي زين العابدين الحفظي[2]،

---

(1) هو جعفر بن أحمد بن عبد القادر بن بكري العجيلي، لا يعرف تاريخ مولده، ولا وفاته. ويغلب على الظنّ أنّه مات شابًا كلالةً، وكان مغمورًا، وحصورًا ليس له ذريّة ـ على ما يظهر ـ ولذلك لم يُترجم له أحدٌ من أهل بيته، ولا من غيرهم، ولم يُعرف بأي نشاطٍ علميّ كغيره من أخوته، بيد أنني اطلعتُ على رسالة له خطية وجّهها إلى جاري بن ظافر(العسبلي)، كان حيًا سنة 1258هـ. . نسب له محمود شاكر بعض الأحداث قبل وصول نفوذ الدولة السعودية الأولى، ص 149، ومما يدلُّ على الزّيف المضحك أنّ المسمى عبدالله بن مسفر في كتابه(المصنوع) أخبار عسير، ص 120 قد أحال في بعض أخبار جدّ آل الحفظي على كتاب آخر ـ مختلق ـ عنوانه: «المستفيد بأخبار الوقائع من آل يزيد» ونسبه إلى موسى بن جعفر الحفظي، أي ابن السابق.

(2) لم تقتصر هذه المدونات الزائفة على اختلاق تاريخ سياسي لعسير في القرون الوسيطة، بل تجاوز الأمر إلى تزوير مدونات أخرى ـ ركيكة، وهزيلة ـ نُسبت أيضًا إلى بعض المغمورين من آل الحفظي، وآل بكري العجيلي؛ ومنها: ما يسمى بـ«الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين. المنسوب للشيخ محمد بن هادي بن بكري العجيلي(نشره عبدالله أبو داهش)، ومن الغريب أنّ محقق تاريخ عبد الرحمن الحفظي =

ويستمدّون منها في تغذية أوهامهم بأنّ هناك إمارةً ما، أو دولةً ذات سيادة وزعامة قبيل الدولة السعودية الأولى في إقليم عسير، وفي الوقت نفسه ينبذون، ويتنكرون لنصوص أخرى، أوثَق، وأصحّ وردت في مؤلفات بعض علماء هذه الأسرة مما سوف أذكرُ أمثلةً منه في ثنايا هذا البحث إن شاء الله تعالى.

عسير (الإنسان والإقليم):

اختُلف في مسمى «عسير»، ونسبتها إلى الأزد، أو غيرها كثيرًا؛ فمنهم من يذهب إلى أنّ هذا المسمى مشتقٌّ من العسر نتيجة صعوبة مسالكها، وكثرة تعاريجها[1]، والبعضُ لا يرى أصلًا قديمًا لهذه التسمية، وأنّ المسمّى حديثٌ جدًا[2]، بينما

= المسمى: الملك العسيري ذهب يجتهدُ خطأً أنّ الحفظي قد اعتمدَ في بعض حوادث تاريخه على هذا الظل، وتمادى في أنّ اتفاقه في بعض التواريخ، والأخبار مع الظلّ يؤكد أنّه قد نقل عنه، وكأنّ هذا المحقق يسعى بقصد إلى محاولة ترسيخ صحة هذا المُؤلّف، وما ورد فيه، ونسبته إلى محمد بن هادي. ويبدو أنّه قد غاب عنه ـ وهو الباحث الحصيف ـ أن يكون الصواب بناء على ما يحيط بهذا التأليف المزوّر من عدم وجود نسخة أصليّة له، وأنّ المؤلف مغمور غير مشهور، والنسخة الوحيدة الموجودة ركيكة معنىً ومبنى لا تليق بعالم وقاض، وانتساخها متأخرٌ جدًّا. فلمَ لا يكون من لفّق الظلّ هو الذي نقل عن تاريخ عبد الرحمن الحفظي لاعتباراتٍ كثيرة واضحة وضوح الشمس؛ والآخر يُسمى بـ«نفح العود والظل الممدود» المنسوب زورًا للعلامة محمد بن أحمد الحفظي، وهو في وريقات يتشابهُ في كثير من سياقاته مع الظل الممدود؛ وقد فصّلتُ في نقدها، وبيان زيفها، وعورها في غير هذا الكتاب.

(1) عبدالله بن مسفر، **أخبار عسير**، ص19.

(2) فؤاد حمزة، **في بلاد عسير**، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، =

يذهب الهمداني إلى أنّه عسير بن إراشة بن عنز بن وائل[1]، ويرى الأشعري أنّ «عسير» سُمي بذلك لأنّ أمّه تمخّضت به أيّامًا ثلاثة، وتعسّرت ولادته فسُمي عسيرًا[2]، ولعلّ العلامة المؤرخ حسن بن أحمد الضمدي المشهور بـ«عاكش» قد اتكّأ عليه عندما ذكر أنّ «عسير» هو بن عبس بن شحارة، وأنّ نسبه ينتهي إلى عك بن عدنان[3]؛ ومن المهمّ أن يتوقف الباحث أمام المسمى الذي ورد لدى ابن الكلبي عند ذكره ولد عنز بن وائل،

= ط2، 1968م، ص 85، هاشم النعمي، **تاريخ عسير بين الماضي والحاضر**، ص16.

(1) كتاب الاكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق محمد بن علي الأكوع، صنعاء 2004م، 1/ 262، وعنز بن وائل قبيلة عدنانية انفصلت عن قبائل ربيعة في الجاهلية وكانوا يقطنون في خيبر وعين التمر بالعراق، وعنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة هو أخو كل من بكر بن وائل وتغلب بن وائل. وكان لعنز بن وائل من الأولاد: إراشة ورفيدة. فولد إراشة بن عنز: قتان، وعسير، وجندلة. وولد رفيدة بن عنز: عبد الله، وعمرو وربيعة ومعاوية. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، ط5، ص302، هشام بن السائب الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، 2004م، 1/ 94، وما بعدها

(2) **كتاب التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب**، تحقيق سعد ظلام، دار المنار، د ت، ص 138.

(3) قمع المتجرّي على أولاد الشيخ بكري، مخطوط منه صورة في مكتبة علي الحسن الحفظي، أبها، ورقة 4. وانظر تفاصيل أخرى عند هاشم النعمي، عسير قبيلةً وبلادا، **مجلة العرب**، ع 3 ـ 4 (رمضان، شوال)/ (مارس 1992م) ص 181 ـ 199.

فلم يذكر فيهم «عسير»، بل ذكر «عُشير»[1] ـ بالمعجمة بعد المهملة ـ. وهذا الاضطراب بين المؤرخين في نسبة عسير، مع عدم ورود هذا المسمّى في المعاجم الجغرافية والبلدانية المشهورة[2]، والمعروفة يُرجحّ فرضيّة أنّ المسمى ليس عَلمًا على مكان بل هو مسمى لقبائل تنتمي إلى عنز كما يذكر الهمداني[3]، أو تدخل بعض مواضعها تحت مسمى «السروات»[4]، ثم أضحى في العصور المتأخرة، وخاصة في عهد النفوذ العثماني يُطلق ـ جزافًا ـ ، ونتيجةً لتقسيمات إدارية عثمانية على بلاد شاسعة، لا تنتمي أصلًا إلى عسير القبيلة، بله مواضع سكنها، ووجودها[5].

---

(1) أنظر: **جمهرة النسب**، ج2، تحقيق محمود العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، د ت، 2/ 317، وبالرّسم نفسه ورد في النسخة التي حققها ناجي حسن، ط1، مكتبة النهضة المصرية 1988م، ص 576.

(2) بعضُ هذه المصادر أتت على ذكر بعض المواضع وخاصّة «جرش»؛ لكنّها جاءت تحت مسمى «السراة»، أو «السروات»، وجعلتها مقسمة بين نجد، والحجاز، واليمن. أنظر على سبيل المثال: البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، حققه وضبطه مصطفى السقا، عالم الكتب، 1945م، 1/ في صفحات عديدة، منها على سبيل المثال: 9، 11 ـ 15، وما بعدها. وانظر علي أحمد عسيري، **عسير من 1249 ـ 1289هـ دراسة تاريخية**، ص25 ـ 26

(3) **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد الأكوع، ص 256، وما بعدها. وهي: بني مغيد، وعلكم، وربيعة ورفيدة، وبني مالك، وحاضرتها مدينة أبها.

(4) فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص 86.

(5) المرجع نفسه، ص87.

ومن الغرائب أن ينساق بعضهم ـ بغير علمٍ ولا هدىً، ولا كتابٍ منيرٍ ـ إلى مدّ حدود الإقليم جنوبًا حتى ميدي على الحدود اليمنية[1]، مُلغيًا بذلك إقليمًا له حدوده المعروفة، وعمقه التاريخي الممتدّ عبرألوف السنين، وكياناته السياسية التي ذكرتها، وفصلتها المصادر التاريخية المعروفة، ونشاطه العلمي، وعلماؤه، وفقهاؤه، وشعراؤه، وأدباؤه، وحضارته المزدهرة عبر عصور التاريخ الإسلامي فيتغافل إن بجهلٍ، أو بقصد عن كلّ ذلك، ويُدرجُ كلّ مدنه، وقراه، ومناطقه ضمن إقليم عسير[2]. بل بعضهم بالغ كثيرًا فجعل (عسير) مسمىً لعموم النطاق الجغرافي لجنوب المملكة العربية السعودية، حيث ذكر أنّه يشمل كلّاً من الباحة، ونجران، وجازان[3].

---

(1) محمد آل زلفة، **دراسات من تاريخ عسير الحديث**، مطابع الشريف، 1991م، ص13، عبدالله أبوداهش، عسير في ظلال الدولة السعودية الأولى (1215 ـ 1233هـ)، نادي أبها الأدبي، 1989م، ص9، علي عسيري، عسير من 1249 ـ 1289هـ، ص 52؛ ويظهر أنهم اغترُّوا بما ورد عن بن مسفر في كتابه المسمى: السراج المنير في سيرة أمراء عسير، مؤسسة الرسالة، د ت، د م، ص 11، ونقلوا عنه، وإن لم يصرّحوا. وهو من المؤلفات الملفقّة، بل يبدو من محتواه أنّه نسخة أخرى من الكتاب الزائف السالف الذكر: أخبار عسير.

(2) بن مسفر، **أخبار عسير**، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1979م، ص13، وبن زلفة، **دراسات من تاريخ عسير الحديث**، مطابع الشريف، 1991م، ص13، علي قطب، **الأمراء اليزيديون**، ص16.

(3) أنظرعلى سبيل المثال: منصور العسيري، عسير والتاريخ وانحراف المسار، دار الطناني للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012م، ص388..

وعلى كلّ حال، ونتيجةً لهذا الاضطراب في ربط الإطار المكاني للمسمى بالبعد القبلي له يبدو التردّد عند الشيخ هاشم النعمي واضحًا في الجزم بحدود الإقليم المكانية، فيذكر أنّ مسمى عسير يشمل سكّان البلاد الممتدة شمالًا من بلاد بللحمر، ومحايل إلى قحطان والحزون الغربية الجنوبية المتاخمة لدرب بني شعبة في المخلاف السليماني، وشرقًا بلاد شهران، ومن الغرب حتى القحمة، وتثليث المتاخمة لسواحل البحر الأحمر، وجنوبًا حتى ظهران المعروفة بظهران الجنوب في قحطان، ونجران، ويتبعها إداريًا قحطان، وشهران، وبللسمر، وبللحمر، وشهران، وبنو عمرو، وبنو شهر، وبارق، ومحايل، وقنا. ولأنّ هذه القضيّة مما يطولُ الحديثُ فيها، ويتشعّب على غير بصيرةٍ، ولا دليلٍ واضح ثابت؛ فقد اعتمدتُ حدود الإقليم الإدارية لهذا المسمى في العصر الحاضر، منذُ دخولها تحت حكم الملك عبد العزيز ﷺ، وما بعد ذلك مما يدخل تحت النطاق الحدودي لمنطقة عسير الواقع بين حدود منطقتي مكة المكرمة، والباحة شمالًا إلى الحدود الإدارية لمنطقتي جازان، ونجران جنوبًا، فالحدود الإدارية لمنطقة الرياض شرقا، وسرتُ عليه في عملي هذا[1].

الأوضاع السياسية في عسير خلال العصور الإسلامية الوسيطة:

رغم محاولات بعض الباحثين المحدثين البحث عن أملٍ، أو إشارةٍ ولو ضعيفة ترفدُ النظريّة التي افترضوها مسبقًا قبل أن يجدوا دليلًا ثابتًا موثوقًا بعيدًا عما سبقت الإشارة إليه من

(1) عبد الرحمن آل حامد، **العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير**، ص 150، وما بعدها.

المدونات، والمؤلفات المزيّفة، والمختلقَة، مُتوسلين في هذا، ومعتمدين على بعض المقاربات، والمقارنات، والاجتهادات؛ بُغية الوصول إلى نتيجةٍ ـ وإن كانت هشّةً ركيكة ـ تدور على وجود حكومة، وتحاول ترسيخ فكرة قيام سلطةٍ سياسيةٍ في هذا الإقليم منذُ بدايات العصور الإسلامية الوسيطة.

لكن أمام ما سأسوقه من نصوص ثابتة وردت في مصادر موثوقة، ومعاصرة لهذه الحقبة الزمنية ستنهار كلّ تلك المحاولات للادعاء بوجود سلطة سياسية حاكمة في إقليم عسير؛ ولستُ أدّعي أنّ كلّ هذه النصوص التي ستُضمّن هنا هي مما لم يعلم به بعضُ هؤلاء الباحثين، بل ربما علموها، ولكنّهم تجافوا عنها، وأهملوها، وغضّوا الطّرفَ عن التأمّلِ فيها، واستنطاقها لمعرفة ما ترمي إليه، وتوضّحه، وتُفصحُ عنه من حقيقة وواقع الأوضاع العامّة سياسية وغيرها في عسير. وعلى الرّغم من أنّ هذه النصوص من الكثرةِ والوضوح الذي وردتْ به في المصادر إلّا أنّهم لم يلتفتوا اليها، ولا احتفلوا بها، وأولوها ما تستحقه من العناية؛ بل ذهبوا إلى محاولة الترسيخ بوجود سلطة وهميّة مبدؤها ومنطلقها «آل يزيد الأمويون» الذين هرب جدّهم من الشام ـ في زعم تلك المؤلفات الزائفة، ومن اغترّ بها ـ إلى عسير، ومن ثم أسّس له إمارةً توارثها عقبه، وحكموا من خلالها كلّ بلاد عسير، وما جاورها عبر عدّة أدوار لهذه الأسرة وُصولًا إلى عهد الأمير محمد بن أحمد اليزيدي الأموي الذي تقوّض بمقتله الدور الأول لإمارة اليزيديين على يد أتباع الدولة السعودية الأولى[1].

---

(1) آل قطب، **الأمراء اليزيديّون**، ص70.

ولستُ هنا في غرضٍ مناقشة انتسابهم إلى يزيد بن معاوية الخليفة الأموي، لأنّ قضايا الانتساب إلى عموم بطون قريش، ومنهم (بنو أميّة) أضحت ظاهرة، وذات شجون لأمور منها: أنّ هذا مما عمّ وطمّ، وذاع وانتشر، وكثر الاختلاقُ فيه، واختلط المكذوب مع بعض الحقيقة، حتى فاض عن الحدّ قديمًا وحديثًا؛ ومنها أنّ الرّوايات المضطربة، والمتضاربة قد حفّت، وأحيطت بالكثير من الدعاوى؛ ولأنّه قد ثبت أنّ في اليمن على وجه الخصوص أسرًا، وبيوتًا تعودُ إلى البيت الأموي كالطاهريين، وغيرهم.

وكلٌّ يدّعي وصلاً بليلى
وليلى لا تقرُّ لهم بذاكا[1]

لذلك لن أتوقف عند هذه القضيّة، بل سيكون البحثُ منصبًا على الرّوايات، والنصوص التاريخية الموثوقة التي تنفي نفيًا قاطعًا أيّ شكل من أشكال الحياة السياسية القائمة على إمارة ذات سلطة حاكمة بمثلِ ما تحوكه تلك المختلقات الزائفة، ومن اغترّ بها، وركب ساقتها من المعاصرين؛ وليس القصدُ فقط نفي ما ورد من ادعاءات في تلك المدونات، والمؤلفات المُختلقة بل محاولة وضع أُطر تاريخية واضحة، وضمن سياق تاريخي زمني، ورؤية قائمة على هذه المادّة ـ قدر المستطاع ـ للأوضاع العامّة لمنطقة عسير عبر القرون التاريخية المتعاقبة، في حدود البحث الزمانية، ومادته العلمية المتاحة.

وإذا استبطنّا بعض مصادر القرنين الثالث، والرابع

(1) مما ذاع وشاع، وجرى على الألسنة. ولم ينسبوه بهذا اللفظ لأحدٍ بعينه.

الهجريين[1] سنجدُ فيها إشارات مهمّة إلى الأوضاع، والأحوال السياسية لهذا الإقليم على امتداد حدوده المكانية المعروفة في وقتنا هذا. ومن ذلك على سبيل المثال أنّ الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي(ت298هـ/ 910م) ومن خلال أحداث سيرته منذُ أن خرج من بلده قرب المدينة المنورة سنة 284هـ/ 897م، وأسّس أول دولة للزيدية في صعدة المتاخمة لسراة عسير، وعلى الرّغم من أنّه كان يقطعُ هذا الإقليم في تنقله بين اليمن وبلده، ومروره في عددٍ من المدن والمواضع في سراة عسير إلّا أنّه لم يرد في سيرته شيءٌ عن وجود سلطة حاكمة، لا لأحدٍ من ذريّة يزيد بن معاوية، ولا غيره ولو كانت هناك إمارة، أو حتى وجود لأحدٍ من ذريّة يزيد بن معاوية الأموي ـ كما يدّعون ـ لما تردّد يحيى بن الحسين، وأتباعه في الوصول إليهم، واستئصال شأفتهم نتيجة الإحن والثارات بين البيت الأموي، والعلويين[2].

وإذا انتقلنا إلى الهمداني (ت344هـ/ 955م تقريبًا) وهو المؤرخ الذي جاس خلال ديار عسير من جنوبها إلى شمالها،

---

(1) تعمّدتُ أن يكون أغلب هذه المصادر التي استقيتُ منها النصوص هي مصادر تاريخية لمؤرخي اليمن، والحجاز، لكونها متاخمة، ومشتبكة جغرافيًا مع عسير، والحجاز؛ أو ممن مرّ في بعض أراضي هذا الإقليم، أو مؤلفات العلامة أحمد الحفظي بن عبد القادر، ووثائقهم الأصيلة.

(2) أنظر علي بن محمد العلوي، **سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين**، تحقيق سهيل زكار، ط2، دار الفكر 1981، م، في صفحاتٍ عديدة منها على سبيل المثال: 39، 161، 64، 337 ـ 338.

ومن شرقها إلى غربها، ووصفها بما لم يصفهُ بها أحدٌ غيره، والتقى خلال ذلك فيها، وفي مكة المكرمة بالكثير من أهلها، واستخبر منهم عنها وعن سكانها، وأحوالها؛ ومع هذا لم يذكر ولو معلومةً واحدة عن أميرٍ من أمرائها، أو سلطة حاكمة لآل يزيد أو غيرهم؛ على الرّغم من أنّه زار الجهوة في بلاد الحَجريين، ووصفها، وذكر صاحبها جابر بن الضحاك[1]؛ وهذا من أوضح الأدلّة على خطل وزيف ما روّجته تلك المؤلفات، ومن سار في ركبها من الباحثين المحدثين. وفي القرن الرابع الهجري سنجدُ عددًا من الإشارات التي وردت في أحد المصادر المعاصرة، وهي سيرة الإمام القاسم بن علي العياني (ت393هـ) الذي كان قبل دعوته بالإمامة في صعدة، وسائر اليمن محسوبًا من سكان بلاد خثعم، ومن أهلها، وهي بلادٌ تدخل ضمن نطاق الحدود المكانية لمسمى عسير الحالية، وبعد قيام دعوته في اليمن كان دائم التردد إلى كثيرٍ من الأجزاء الجنوبية والشرقية من الإقليم، ولم يرد في سيرته شيءٌ عن أيةِ سلطة سياسية فيه، بل يُفهم من بعض النصوص وجود نوع من القبول لدعوته لدى بعض قبائل المنطقة.

ومن الأدلّة على هذا ما يُفهم من ثنايا رسالته إلى المغيرة بن بدر الذي عقد له الإمامة على جهات تبالة، وترج، وبيشة وسكّانها من بني عامر، وشهران.. وفيها يقول: «**هذا كتبه القاسم بن علي ـ العياني ـ للمغيرة بن بدر بما قد عُقدَ له من الولاية على أعراض تبالة، وترج، وبيشة، والبقيع ـ يقع في**

---

(1) **صفة جزيرة العرب**، في صفحاتٍ عديدة منها: 252 ـ 262، وغيرها.

طريب - ... وأجريتُ من استقام في الطاعة من رجال شهران بجميع الأعراب مجرى بني عامر في بلدانهم - أي في أرباع خراجهم يقسمونه بين ضعفائهم - وأنّ من خرج عن الطاعة من قبائل شهران فلا لوم على وإليه أن يتركهم.. وجعلتُ لمن اتبع أمري من كافّة مقدّمي بني عامر خراج بلدانهم يرفدون منه ضُعفاءهم، ويستعينون بذلك على نوائبهم. الخ»[1].

بينما تلك النصوص الزائفة تدّعي أنّ هذه البلاد يحكمها في هذا الوقت كلٌّ من الأميرين الأمويين اليزيديين سعيد بن هشام بن علي، وابنه عبدالله بن سعيد اللذان حكما - بزعمها بين سنتي (378هـ - 419هـ).

وفي نصّ آخر أشار صاحب السيرة إلى أنّ الإمام العيّاني وصل الفيض، وهو أحد أودية السراة، ومازال معروفًا إلى الآن[2]، ولقي واليه عليه المسمى موسى بن جبير فقام هو وعشيرته بضيافة الإمام ومن معه، وأنّ القبائل النازلة حول الفيض من سنحان، وجنب[3]، ووادعة قد سألوه أن يُعيد عليهم واليهم السابق المسمى رزين بن أحمد بن يعقوب، وكتب له بذلك كتابًا[4]؛ وهذا كان في سنة 391هـ/ 1001م. . وفي نصّ

---

(1) تحقيق عبدالله الحبشي، دار الحكمة اليمانية، صنعاء 1996هـ، ص214، وما بعدها.

(2) انظر علي الحربي: **المعجم الجغرافي لمنطقة عسير**، 3/ 1295 - 1297.

(3) جنب، من قبائل المملكة العربية السعودية، وبلادها في وادي تثليث وفروعه في إمارة بلاد عسير، وهي تجمع عددًا من القبائل القحطانية، ومن أشهرها قبيلة عبيدة. **مجلة العرب**، ج1 - 2، س28 رجب وشعبان، 1413هـ/ يناير 1993م، ص 122.

(4) السيرة، ص 215 - 217.

آخر، ومن مصدرٍ موثوقٍ غير سيرة العياني السالفة نجده يؤكد فحوى ما سبق، ويذكر أنّ هذا الإمام قد «**عاد إلى ترج من أرضِ خثعم فأقام بها؛ وولاته يتصرفون فيما يليه من الجهات والنواحي خاصةً في أرض جنب وأرض سنحان..**»[1] ومن ما سبق يتبين أنّ هذه البلاد التي تُعدُّ الآن ضمن منطقة عسير لم تكن حينذاك تحت سلطة سياسية لا من آل يزيد كما تدّعي الروايات الزائفة، ومن بنى عليها من الكُتّاب المُحدثين، ولا من غيرهم من المنتسبين إلى عسير، بل يُفهمُ من النصّ أنّ أهلها كانوا يدينون بالطاعة للإمام العيّاني؛ ومن ثمّ فلو كان في جرش[2]، أو إحدى قرى عسير وجودٌ لذريّة أمويّ من آل يزيد بن معاوية، أو من غيرهم من بني أمية لما تركهم العياني، والعلويون، وتغافلوا عنهم؛ بل من المؤكد أنّهم سيجلبون عليهم بخيلهم، ورَجِلهم، ويُشعلونها عليهم حربًا شعواء سيتردّدُ صداها في المصادر اليمنية، والحجازية.

وبالنظرِ في مصادر القرن الذي يليه نجدُ نصوصًا تُرسّخُ خلوّ «عسير» مُطلقًا سراتها، وتهامتها من أيّ مظهر من مظاهر السلطة السياسية؛ فمن ذلك ما ورد من نصوص واضحة في مصدر معاصر، وله صلة بأجزاء مهمّة تدخل في الإطار المكاني لعسير، وهو كتاب سيرة الأميرين الجليلين الشريفين

---

(1) حميد الشهيد، الحدائق الوردية، ص 114.

(2) مدينة قديمة مشهورة، هي قصبة مخلاف جرش. قال الهمداني في صفة جزيرة العرب، ص256: «جُرش» هي كُورَه نجد العليا وهي من ديار عنز ويسكنها ويترأس فيها العواسج من أشراف حمير.. وهي الآن تقع في محافظة أحد رفيدة شرقيّ أبها (30) كيلومترًا.

الفاضلين[1]؛ ومن يجوسُ في ثنايا هذا المصدر، ويتمعنُ في نصوصه سيجدُ فيها أكثر من إشارة إلى أنّ هذا القسم من عسير، ويشمل بيشة، وترج، وتبالة إلى بلاد شهران كانت في القرون الوسيطة خاضعة لنفوذ أشراف مكة المكرمة؛ ومن ذلك قول مؤلف السيرة على لسان ذي الشرفين: «وخشينا أن يلحقنا من الأمير شكر بن أبي الفتوح[2] عتبٌ إذا لم نتصلْ به، لأنّ يدهُ كانت تصل إلى البلاد التي نحن بها»[3].

ومما نستدلّ به من هذا المصدر أيضًا انتفاء أي وجود لسلطة سياسية، وأنّ الأمن كان منفرطًا خلال هذه الفترة نتيجة عدم وجود حاكم بعموم الإقليم أنّ الشريف القاسم بن محمد بن الإمام القاسم العياني أثناء خروجه، ومعه أخوه محمد بن جعفر من اليمن إلى وادي «ترج» بالقرب من بيشة هاربًا من سطوة الصليحيين، كان يتنقلُ في أكثر من موضع من بلاد عسير، كلّما وصل موضعًا نزل في حمى أحد كبار ساكنيه من القبائل، ولذلك تنقل ما بين «جرش» عند العواسج، إلى «راحة بني شريف» في قحطان التي رغب في المكوث فيها فترةً من الزمن لكنّ وجود

---

(1) ألّفه مفرّح بن أحمد الرّبعي، تحقيق رضوان السيد، وعبد الغني عبد العاطي، ط1، دار المنتخب العربي، بيروت 1993م.

(2) شكر بن أبي الفتوح الحسن بن أبي جعفر بن هاشم محمد بن موسى بن عبدالله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله بن إدريس، حكم مكة منذُ سنة 430هـ. واختُلف في تاريخ وفاته، ولعل الأقرب سنة 453هـ. الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج2، ص336، السباعي، تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الرياض 1999م، 1/ 230 ـ 231.

(3) السيرة، ص 124 ـ 125.

أتباع الصليحيين بها[1] عجّل بخروجه منها خشية على نفسه، مارًا بشيخ «جنب»، وعبيدة قحطان، ثم نزل بلاد عنز بن وائل(عسير)، ويذكر صاحب سيرته أنّه لولا اصطحابه خلال تنقلاته من يخفره من كلّ قبيلة يمرّ بها حتى يسلمه للقبيلة الأخرى، لسطوا به، وقطعوا عليه الطريق، وسلبوه[2]؛ لأنّ لكلّ قبيلة السيادة في حدودها، فلا يستطيع أحدٌ من قبيلةٍ أخرى أن يجتاز في أرض القبيلة الأخرى إلّا بوجود دليل (خوي)، وأن يكون هناك إذنٌ مسبق، وعهدٌ بينهم حتى يسمحوا له بالاجتياز، كما أنّه يُحظر، ويُمنعُ على قبيلةٍ أن تنزل في حدود أخرى بغير إذنها[3].

ويذكر صاحب سيرته أنّه وصل إليه أحد شيوخ عنز بن وائل؛ وكان يعملُ دليلًا للحاج فأبلغه أنّه مُفاتنٌ[4] للعواسج في جرش، ثم أرسل معهم دليلًا من رفيدة من عنز بن وائل كي يجوز بهم إلى مقصدهم، وقد علم الشريف القاسم أنّه قد وصلت رُسل الصليحي من تهامة إلى عنز بالقبض عليه، وأنّ هذا الشيخ قد أضمرَ وقومه الغدر به، والقبض عليه، لكنّ الله كتب له ولأخيه وصحبهما النجاة حتى وصلا بلاد شهران، ثم إلى بلدهما «ترج»[5].

وإذا عُدنا إلى نصٍّ مصدريٍّ معاصرٍ أيضًا ورد عند ناصر خسرو في رحلته التي قام بها بين سنتي(437 ـ 444هـ) فيذكر

(1) السيرة، ص 122.

(2) المصدر نفسه ص 121.

(3) علي عسيري، المرجع السابق، ص 117.

(4) أي مُقاطع؛ وبينه وبينهم خصومة، وفتنة.

(5) السيرة، ص 123.

أنّه لمّا اجتاز الطائف إلى نواحي السراة[1] أبلغوه بأنّ هذه الناحية ليس عليها حاكمٌ ولا سلطان، وأنّ لكلّ جهةٍ منها رئيسًا، أو سيدًا مستقلًّا.. وذكروا له أن الحروب فيما بينهم قائمة دائمة[2].. والمتأمل في هذه النّصوص من هذه المصادر المعاصرة سيقف على خطل، وافتئات من ذهب إلى أنّه في هذا التاريخ كان الأمراء محمد بن عبد الله بن سعيد بن هشام اليزيدي الأموي، وعلي بن سعيد، ومحمد بن علي، وموسى بن محمد بن عبد الله اليزيديون الأمويون يحكمون في عسير بين سنتي (419هـ ـ 515هـ/ 1028م ـ 1121م)[3].

وليس ذلك فحسب بل يطالعنا نصٌّ يعود إلى أواخر القرن الخامس الهجري ـ تقريبًا ـ حيث يذكر عمارة الحكمي أنّ عمه علي بن زيدان حجّ على طريق السراة فاجتاز أثناء ذهابه بقرية «جرش» فأضافه أهلها، وأكرموه ومن معه؛ وعند عودته من الحج وافق وصوله غارة شنّها عليهم عربٌ آخرون، فاجتاحوهم، واستباحوهم، فقتلوا الرجال، وسبوا النساء، واستاقوا الأموال... فأدركهم في أثناء انسحابهم، وأخذ على الأعراب الطريق، وقاتلهم ومن معه فهزمهم واستنقذ النساء والأموال.. وأمام خراب المدينة، وذهاب الكثير من رجالها، لم يجدِ النّساء ومن سلمَ من رجالها الذين خافوا على أنفسهم

---

(1) لم يذكرها بالنّص لكنه أورد أوصافها، ولعلها بيشة وما حولها.

(2) ناصرخسروعلوي، **سفر نامة**، ترجمة يحي الخشّاب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1993م، ص 154.

(3) أنظر: تاريخ عسير خلال خمسة قرون في رسالة ابراهيم بن علي زين العابدين الحفظي تحقيق وتعليق محمد بن مسلط الوصال البشري، د ت، 1992م، ص 34.

من أن يعود هؤلاء الأعراب للبطش بهم، إلّا أن يتعلّقوا بركابه، وأبوا إلّا أن يخرجوا معه إلى بلده في المخلاف السليماني..[1].

والمتأمّل في هذا النّص يجد أنّ حروب النهب، والسلب القبلية كانت قائمة بين قبائل الإقليم، والفوضى تضربُ أطنابها فيه، ومن ثمّ دلّ على أنّ هذا هو ديدنُ أهل هذا الإقليم عبر العصور حتى وصول سلطة الدولة السعودية في مطلع القرن الثالث عشر الهجري[2]، كما يدلّ على عدم وجود سلطة حاكمة في تلك الفترة[3].

وتردُ الروايات من المصادر اليمنية الموثوقة تباعًا للدلالة على حقيقة عدم وجود أيّ إمارة أو سلطة سياسية في إقليم عسير، والسراة خلال العصور الإسلامية الوسيطة لا من اليزيديين الأمويين، ولا من غيرهم. ففي سيرة الإمام أحمد بن سليمان (ت566هـ/ 1170م) وفي حوادث سنة 532هـ/ 1137م يذكر مؤلف سيرته أنّه تقدّم حتى بلغ إلى وادعة فأتوه من «الغيل»[4]

(1) **النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية**، اعتنى به هرتويغ درنبرغ، شالون، 1897م، ص15. ويظهر أنّ هذا الاجتياح كان سببًا في اندراس قرية جرش. والله أعلم.

(2) علي عسيري، المرجع السابق، ص117.

(3) تزعم المؤلفات الزائفة إلى أنّه كان فيها سلطان قائم، وأنّ أمير عسير في هذا الوقت هو الأمير اليزيدي «موسى بن محمد بن عبدالله (455هـ ـ 515هـ)». أنظرعلى سبيل المثال: بن مسلط البشري، **تاريخ عسير**.. ص34.

(4) أنظر علي الحربي، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية**، (منطقة عسير)، أبها 1417هـ، 3/ 1267.

ومن «العرين»[1] فدانوا له بشيءٍ من الطاعة إمّا رغبةً أو رهبة[2]، وقد وصل إليهم أيضًا في سنة 549هـ/ 1154م، واجتمع بهم في راحة بني شريف، وحثّهم على الخروج لقتال الباطنية في نجران، كما استعان بقبائل من «جنب»، وكان في أتباعه أيضًا شيخُ قبيلة نهد في تثليث منيف بن جابر الّذي التزم للإمام بجمع جيشٍ من قبيلته، ومن خثعم، ومن قبيلة عبيدة يقومُون معه في هذا المخرج[3]؛ وسواءٌ كانت هذه البيعة، والتبعيّة حقيقية، أو اسمية، أو تتخللها مبالغة مؤرخي الزيدية، أو رغبةً، أو رهبة؛ فإنّ دلالتها واضحة جدًا على ما نحن بصدده في هذا الموضوع[4]؛ كما يردُ في المصدر نفسه نصٌّ آخر واضحٌ كلّ

(1) المرجع نفسه، 3/ 1167، وما بعدها. وانظر عن العرين: علي الحربي، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية**، منطقة عسير، 3/ 1167، وما بعدها.

(2) سليمان الثقفي، **سيرة الإمام أحمد بن سليمان**، تحقيق عبد الغني عبد العاطي، عين للدراسات والبحوث، الطبعة: الأولى، 2002م، ص38.

(3) المصدر نفسه، ص196 ـ 197، 219. وقد أوفى له ابن جابر؛ وذكر الإمام ذلك في قصيدة له حيث يقول:

فدعوت أبطال الحجاز فبادروا   وأتت إليّ عساكري وجحافلي
ودعوتُ ذا العلياء مُنيفًا دعوةً   فأجاب كالسبع الفروس الصائلِ
هم روس قحطان وذروة مذحج   ما أي قحطانٍ لهم بمشاكلِ
وفوارس من خثعم أكرم بهم   وصلوا من البلد البعيد الراحل

.... الخ.

(4) تذكر المؤلفات الزائفة أن الذي كان يحكم عموم عسير والسراة بما فيها وادعة وبلدانها في هذا الوقت هو الأمير اليزيدي الأموي سليمان بن موسى من سنة 515 إلى 583هـ.

الوضوح، ودلالته لا يشوبها غموضٌ على أنّ فترة العصور الإسلامية الوسيطة لم يكن فيها حاكمٌ، أو أيّ شكلٍ من أشكال الحكم السياسي لهذا الإقليم سراته، وتهامته، كما لا يوجدُ شخصٌ من تلك الأسماء ذات النسب اليزيدي الأموي وُفق ما ابتدعهُ، وسلسلهُ واضعوا تلك المُدونات الزائفة؛ حيث يقولُ الثقفي: «**وكان ممن وصلَ في تلك المدّة إليه ـ الامام أحمد بن سليمان ـ مشايخ من جنب بن سعد من أهل راحة**[1]**، وما يليها، وذكروا له أمر رجلٍ من عنز بن وائل يُقالُ له عُرفطة بن الطّحل أنّه قطع طريق الحاج إلى بيت الله الحرام، وسألوه المخرج إليه ففعل ذلك**». . ويبدو أن عُرفطةَ هذا شيخٌ قبلي، أوصعلوكٌ صائل قد امتهن قطع طريق الحاج بمن معه من أتباعه، ذلك لأنّ صولته، وعدوانه وصلَ خثعم؛ ولم يستطيعوا دفعه، ولا مقاومته؛ ولم يكن أمامهم من يستنجدونه، ويستعينون به على ردّ عُرفطة إلّا الإمام أحمد بن سليمان فخرج إليه وفد من مشايخ خثعم يشتكون إليه من فعل هذا الشيخ، ويطلبون عونه[2]. وللقارئِ أن يتأمّل في هذا النّص، ويتساءلْ: هل لو كانت هناك حكومة، أو إمارة هل سيقومُ عُرفطة العنزي بقطع طريق الحاجّ؟ ثم يتساءل لماذا قصد شيوخ جنب من أهل راحة بني شريف، وشيوخ خثعم، إلى الإمام يستنجدون به؟ هل لو كانت هناك قوّة سياسية من آل يزيد الأمويين ـ كما يزعمون ـ أو من غيرهم هل سيتجاوزونهم إلى إمام الزيديّة؟! ثم أليس من

---

(1) هي راحة بني شريف في بلاد قحطان، وسبق التعريف بها.

(2) سيرة الإمام أحمد بن سليمان، ص99 ـ 100. .

المفترض بهذه الحكومة السياسية أن تخرج لحفظ الأمن في ربوع بلادها، والتصدّي لقاطع الطريق هذا؟!

كما يبدرُ إلى الذهن تساؤلٌ آخر مبنيٌّ على ما سبق من نصوص هذا المصدر فحواه: لماذا يسمح الأمير اليزيدي الأموي لرعاياه بمبايعة الإمام الزيدي، والخروج معه إلى نجران دون إذنه؟! خاصّةً وهما على النقيض في المذهب والعقيدة، وكذا في استقلال الامير اليزيدي بحكم بلاده، وعدم خضوعه للإمام الزيدي؟! إذا ما غضضنا الطرف عما تُجعجعُ به تلك المؤلفات، والمتأثرين بها من الكَتَبَة المُحْدَثِين من أنّ هناك إمارة متوارثة لليزيديين الأمويين؟! «إن هذا إلّا اختلاق». وفي السياق نفسه، وفي هذه السيرة نجد نصّوصًا أخرى ضمن حوادث سنتي 555هـ، 556هـ تذكر أنّ الامام كان يتردّد إلى راحة بني شريف، والإقامة بها أيامًا قد تصل في بعضها إلى قرابة الشهر[1].

ومن المؤكد أنّ إقامته في بلاد قحطان وقاعدتها «الرّاحة» دليلٌ على أنّها كانت تدينُ له بنوعٍ من الولاء، والتبعيّة، أو أنّ أهلها كانوا يرحبون به، ولا يجدون مانعًا من أن يأويَ إليهم. وهذا لا يتأتّى إلّا في حالة عدم وجود سلطة سياسية محلّيّة فيها عدا شيوخ القبائل.

ويُطالعنا نصٌّ صريحٌ كذلك ورد في كتاب الناصحة المشيرة للإمام عبد الله بن حمزة (ت614هـ/ 1217م) نستدلّ منه على أنّ بلاد السراة، وما جاورها لم يكن فيها حاكمٌ، أو سلطة تنشرُ الأمن، وتضبط تصرفات الخارجين؛ حيث يقول المنصور عبدالله بن حمزة مخاطبًا أحد منتقدي سياسته: «**ففكرْ في أمر**

(1) **سيرة الإمام أحمد بن سليمان**، ص254.

«راحة»[1]**، وبلد سنحان، وما والاهما من البلدان، وما كان ينزلُ بهم من الخوف والجوع، ويُسفكُ بينهم من الدّماء، ويركبُ من الدّهماء، مما كان يقع من رعي الزراريع، وقلع الأشجار المثمرة... وأنّ القويَّ كان يأكلُ الضعيف، والباغي يقطعُ السبيل، ويسفكُ دماء العابرين.** . الخ»[2]؛ فهذا نصٌّ معاصرٌ صريحٌ، وواضحُ الدّلالة على أحوال تلك القبائل، التي ليس لها من يسوسها، ويقومُ على نشر الأمن في ربوعها، وضبط الخارجين فيها؛ ويزعُ بسلطانه فيها بما يحفظُ أمنها، ويُردع المفسدين منهم. .

وما تزالُ المصادرُ المعاصرةُ ثريّةً بالنصوص الوثيقة القاطعة على خلوّ هذه البلاد في هذه الفترة الزمنيّة من التاريخ الوسيط من أيّ مظهر من مظاهر السلطة، والحكم سوى سلطة القبائل وشيوخها الذين هم من يحكمون بلادهم، وأنّ لهم الحلّ والعقد فيها، بل إنّ هؤلاء المشايخ العرب القبليين لايرون بأسًا من مدّ يد المساعدة لبعض الثائرين من آل البيت في اليمن سواءٌ بأجرٍ، أو من منطلق العاطفة تجاه آل بيت النبي ﷺ؛ يدلّ عليه ما ذكره الحجوري من أن الإمام الداعي يحيى بن المحسن بن محفوظ بن محمد بن يحيى، من ذرية الهادي (ت636هـ) عندما دعى لنفسه بالإمامة في صعدة في سنة 614هـ رفض الأشراف الحمزيون بيعته، وقاوموه، وعزموا على الخروج لحربه وهو في صعدة فلم يكن أمامهُ إلّا أن يسير إلى الشام ـ بلاد السراة، وعسير ـ

(1) يقصد راحة بني شريف، قاعدة قبائل بني بشر قحطان في بلاد السرة.

(2) مخطوطة: «الناصحة المشيرة بترك الاعتراض على السيرة»، أصلها في دار المخطوطات، الجامع الكبير في صنعاء، ورقة 162أ.

فاستمدّ بخيلٍ من قبائل عنزٍ، وبني شريف نحوًا من ثلاثمائةٍ وقصد بهم إلى صعدة فاصطدم ببني حمزة وأشياعهم؛ لكن من معه من هذه القبائل لم يثبتوا، وتشتتوا، وسُلبوا خيولهم، ولم يستطيعوا العودة إلى بلادهم إلّا من طرق بعيدة؛ فالعنزيون نزلوا الساعد(ساعد حرض)[1] حتى راحوا إلى بلادهم من مخلاف بيش؛ وأمّا(بنو شريف) فقد نزلوا إلى حلّة بني حراب، ومنها ساروا على أرجلهم إلى جبال خولان..»[2].

---

(1) الساعد: إحدى مدن المخلاف السليماني المشهورة، وتعدّ من مراحل طريق الحج اليمني، تقع على وادي خلب، وكانت قاعدة مخلاف حكم، وعاصمة إمارتهم. ثم أصبحت عاصمة إمارة السليمانيين بعد استيلائهم على مقاليد الحكم في المخلاف السليماني، عقب نزوحهم من الحجاز في منتصف القرن الخامس الهجري تقريبًا على رأس الشريف حمزة بن وهاس بن داوود الحسني ونزولهم بها وبمخلاف حكم عمومًا في أول الأمر، واستطاعتهم الاستيلاء على مقاليد الحكم فيها قبل امتداد نفوذهم إلى القسم الشمالي من المخلاف وقاعدته مدينة عثر، وبقيت كذلك حتى تأسيس مدينة جازان العليا في شرق أبي عريش مع قيام إمارة الغوانم في أواخر القرن السابع الهجري تقريبا. فبدأت مدينة الساعد تدخل مرحلة الضعف حتى اندثرت. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص75 ـ 258، 76، والعقيلي، المعجم الجغرافي، مقاطعة جازان (المخلاف السليماني)، دار اليمامة للبحث والنشر، ط2، (الرياض1979، م) ص213، وما بعدها؛ الحاوي، المدن العلمية في المخلاف السليماني خلال العصور الإسلامية الوسيطة دراسة تاريخية حضارية، مجلة العلوم العربية والانسانية، جامعة القصيم، مج 12، ع1، سبتمبر، 2018م، ص 519.

(2) الجزء الرابع من روضة الأخبار وكنوز الأسرار، معهد المخطوطات، القاهرة، الورقة 372.

وفي عهد الإمام المطهر بن يحيى والذي دعا في سنة 670هـ نجدُ أنّ له بعضًا من نفوذ وصل إلى بلاد قحطان ووادعة، وأتاح له أن يجعل على راحة بني شريف واليًا من قِبله قام بمدّ سلطة الإمام عليها، وعلى ما جاورها، وقد أشار كلّ من عماد الدين إدريس الحمزي، والخزرجي إلى هذا عندما وقعت نازلة المطر العظيم، والبَرَد الذي لم تشهد له البلاد مثيلًا فعمّ بلدة راحة بني شريف، وكان فيها حبة برد كالجبل، فأرسل واليها بذلك للإمام مطهر. قال هذان المؤرخان: «**وفي شهر جمادى الأولى: وقع في اليمن مطر عظيم عَمَّه، وجاء كتاب إلى الإمام مطهر بن يحيى من والي الراحة - راحة بني شريف - يخبره بهذا المطر، وأنه كان فيه برد عظيم قتل عدة كثيرة من الأغنام، ونزلت يومئذ بردة عظيمة كالجبل الصَّغير لها شناخب يزيد كل واحدة منها على ذراع، فوقعت في مفازة بين بلد سنحان والراحة، فغاب في الأرض أكثرها وبقي بعضها ظاهرًا على الأرض، وكان يدور حولها عشرون رجلًا لا يرى بعضهم بعضًا**»[1]؛ ويظهر أن راحة بني شريف، وما حولها كانت مثار تنازع للسلطة فيها بين الأئمة الزيدية والدولة الرسولية، ذلك لأنّ السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي قام بإرسالِ قوة عسكرية اصطدمت بقوة هذا الوالي الزيدي، ومن ثَمّ نشب صراعٌ بين الفريقين للهيمنة عليها وعلى بلاد وادعة[2].

---

(1) تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار، دراسة وتحقيق عبدالمحسن المدعج، الكويت، 1992م، ص121، والعسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من السلاطين والملوك، تحقيق عبدالله الحبشي، دار الوفاق الحديثة، 2023م، ص 415.

(2) انظر: حميد الشهيد المجلي، **الحدائق الوردية في مناقب أئمة** =

فكيف يتجرأ الإمام الزيدي المطهر بن يحيى على مدّ سلطته، ونفوذه، ويُعيّنُ واليًا على قاعدة بلاد بني شريف القحطانية العسيرية دون أن يتصدّى له، أو يمنعه الأمير اليزيدي الأموي المسمى - زورًا - حرب بن عبد الرحمن بن يزيد الذي كان حينذاك يحكم عموم هذه البلاد!، ثم أين نخوة ورجولة وغيرة هذا الأمير الأموي عندما يرى مدينة من أهم مدن إقليمه، ودائرة حكمه وسلطته تتنازع عليها قوتان، وسلطتان للاستئثار بها، والهيمنة عليها، ثم لا يتحرك بجيشه اللّجِب لردّ هذا العدوان، والدّفاع عن شعبه، وكرامة دولته؟! رغم أنّ من الصفات المعروفة لأهل هذه البلاد هي الشجاعة، والفروسية، وعدم القبول بالتبعيّة والضيم؟ أم إنّهم أصبحوا على دين أميرهم من الجبن، والخوف، والخور، وعدم الإقِدام؟!

وإذا تجاوزنا المصادر اليمنية المعاصرة مؤقتًا وعرّجنا على مصدرٍ آخر معاصر، وقريب من الأحداث كابن المجاور (ت690هـ) الذي مرّ في بعض قرى، ومواضع من هذا الإقليم أثناء خروجه إلى اليمن من طريق السراة، ومنها «ذهبان» شهران[1]، وراحة بني شريف في قحطان، وغيرها فسنجده يُلقي

= **الزيدية**، تحقيق: المرتضى المحطوري (صنعاء، 1423هـ/ 2002م) 2/ 239، وأبو الحسن الخزرجي، **العقد الفاخر الحسن**، تحقيق عبدالله العبادي، وآخرين، 1/ 313. 3/ 1384.

(1) كانت قاعدة بلاد شهران، ووصفها ابن المجاور في عصره بأنها «أُم القرى»، بلاد عز، وأنّ أعمالها تبلغ أربعين فرسخًا، وهي نجد اليمن، وهي قليلة الجبال مستوية البقاع. وكانت مستقر مشيخة أسرة آل الحفارص شيوخ شهران وغيرها في القرن العاشر. وهي الآن أحد أحياء مدينة خميس مشيط. أنظر عن ما سبق: =

عند كلامه عن هذه القرى والطرق الواقعة بين الطائف وصعدة أضواءً جليّةً يصفُ فيه الحالة الحقيقية التي تعيشها هذه البلاد وصف مشاهدةٍ وعيان، فيقول: «**إنها قرى متقاربة، وكل قرية مقيمة بأهلها منفصلين ومستقلّين عن جيرانهم في القرى الأخرى، وأن كلّ قرية يحكم عليها شيخٌ من مشايخها من ذوي المكانة فيهم، والعقل، وحسن التدبير... ويُصرّح بأنّ جميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان، ولا يؤدون خراجًا، وكل واحد مع هوى نفسه، ولهذا لا يزال القتالُ دأبهم وينهبُ بعضهم مال بعض.. وهم طول الدهر على هذه الحال**. .»[1]، وحسبك بهذا النّص دلالةً على ما نحنُ بصدده في هذا المُؤلَّف.

فإذا ما انتقلنا بعد ذلك بقليل أي إلى أوائل القرن الثامن الهجري فسيُطالعنا نصٌّ جليّ آخر ورد في مصدرٍ مهمّ يُفصحُ بوضوحٍ ظاهرٍ عن الحالة السياسية لقبائل هذه البلاد خلال هذه الفترة الزمنية من التاريخ الوسيط، ويعودُ هذا المصدر إلى النصف الأول من القرن الثامن الهجري؛ فسنجدُ نصًا في غاية الأهمية ورد عند المؤرخ العُمري (ت749هـ/ 1348م) في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ـ وبمقياس التاريخ الزمني لسلسلة أمراء عسير في تلك المدونات المزيّفة يعدُّ معاصرًا لغانم بن صقر بن حسان (656هـ ـ 721هـ)، وعبدالوهاب بن

= ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ص 50، وعبدالله بن علي المؤيدي، **التحفة العنبرية**، الورقة 321، وعلي إبراهيم الحربي، **المعجم الجغرافي**، منطقة عسير، 2/ 688.

(1) صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسمى «تاريخ المستبصر»، راجعه ممدوح حسن، مكتبة الثقافة الدينية، ص 49 ـ 50.

غانم بن صقر (721هـ ـ 786هـ)[1] أميري عسير والسراة اليزيديين الأمويين على حدّ زعم تلك المؤلفات المصنوعة، والموضوعة ـ فالمتأمّل لهذا النّصّ، والمستقرئ له جيدًا سيقف لاشكّ على كذب، وزيف أي ادّعاء يزعمُ أنّ بلاد عسير والسراة كان بها سلاطين، وأمراء؛ بل ليس فيها أي شكلٍ من أشكال الحكم السياسي المعروف؛ ومن ثمّ سيرى القارئ الحصيف لهذا النّص المهم أنّه يؤكدُ ما تهدفُ إليه هذه الدراسة من نفي، وتفنيد أيّ قولٍ يذهبُ إلى وجود أيّ سُلطةٍ سياسيةٍ حاكمة منذُ بواكير العصور الإسلامية حتى القرن الثالث عشر الهجري، كما أنّه يُصور بكلّ وضوح واقع القبائل فيها ـ قبل دخولها تحت سلطة الدولة السعودية سنة 1215هـ ـ تصويرًا دقيقًا. وإليك النصّ منقولًا من قول العُمري نفسه إذ يقول: «**وبلاد الشرفاء «الزيدية» متصلة ببلاد السراة، إلى الطائف إلى مكة المعظمة.. وهي جبالٌ شامخة عليّة ذات عُيون دافقة، ومياه جارية على قرى متصلة، الواحدة إلى جانب الأخرى، وليست لواحدةٍ تعلّقٌ بالأخرى، بل لكلّ واحدةٍ أهلٌ يرجع أمرهم إلى كبيرهم، لا يضمّهم مُلكُ مَلِك، ولا يجمعهم حُكم سلطان، ولا تخلو قريةٌ من أشجارٍ وغروس ذوات فواكه أكثرها العنب، واللوز، ولها زروعٌ أكثرها الشعير، ولأهلها ماشية أعوزتها الزرائب، وضاقت بها الحظائر**». . . حتى قال: «**وأهلها أهلُ سلامةٍ وخير، وتمسك بالشريعة، ووقوفٍ معها، يعضُّون على دينهم بالنواجذ، ويُقرون كلّ**

---

(1) **امتاع السامر بتكملة متعة الناظر**، شعيب الدوسري، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة 1365هـ، ص 14، وما بعدها.

منْ يمرُّ بهم، ويضيّفونه مُدة مقامه حتى يفارقهم... إلى أن يقول ـ وهو وجه الشاهد في هذا النّص المهم ـ :«**وأهل هذه البلاد لا يُفارق أحدهم منهم قريته مسافرًا إلى الأخرى إلاّ برفيق يسترفقهُ منها ليخفره، وإلاّ فلا يأمنُ أولئك لعداوة بينهم، وتفرّق ذات بين..**»[1].

﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يُونس: 32].

وحتى لا يطول الأمر بنا في تقصّي النّصوص التي حفلتْ بها المصادر الموثوقة، حيثُ إنّ في القليل مما سبق من نصوص عبر العصور الإسلامية ما يكفي عن مواصلة عرض ما ورد من مادّةٍ نصيّة علمية ذات دلالات واضحة على ما نرومه في هذا الكتاب، ونسعى لتبيينه من خلال ما ورد في مصادر تلك الفترة التي تلت ابن فضل الله العمري؛ ولأجلِ ذلك فسنقتصر على إشارتين لبعض ما ورد من نصوص في حوادث القرن التاسع الهجري من خلال المصادر المكيّة التي تؤكدُ نصوصها، وتذكر أن قبائل القسم الواقع في الجنوب الغربي من بلاد عسير ـ بيشة وما حولها ـ كانت تتعرّض في بعض السنوات من هذا القرن لغزوات من قبل أشراف مكة بقصد الاستيلاء على أموالهم، ونعمهم؛ تنتهي أحيانًا بهزيمة مُذلّة لجيش الأشراف على يد هذه القبائل، وأُخرى بتحقيق بعض الانتصارات، والغنيمة من إبلهم، وأموالهم[2] الأمر الذي يدلّ بوضوح لمن تأمّل، واستشفّ هذه

---

(1) **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، السفر الرابع، تحقيق حمزة عباس، المجمع الثقافي، أبوظبي، 2002م، ص54 ـ 55.

(2) على سبيل المثال ما وقع في سنتي 837هـ، و885هـ. أنظر عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن بن فهد، =

النصوص أنّها لم تكن موجّهة لأميرٍ، ولا إلى حاكم حدّ زعم تلك المزيّفات[1].

الأوضاع السياسية في عسير خلال القرون المتأخرة:

ومع مواصلتنا استمداد الأدلّة والشواهد المصدرية الأصيلة في هذا السياق التاريخي بُغية تفنيد وتقويض كلّ ما دقّ، وجلّ من تلك المفتريات والمختلقات عن وجود سلطة سياسيةٍ حاكمة في عسير والسراة ناهيك بأن تكون يزيديّةً أُمويّة. وكلّما امتدّ بنا السياق إلى قرونٍ متأخرة كلذما برزت لنا أدلّةً أُخرى، وشواهد لا يأتيها الباطلُ لا من بين يديها ولا من خلفها؛ كونها نصوصًا في غاية الوضوح والدلالة.

وعلى ذلك فإذا انتقلنا إلى مصادر القرن العاشر الهجري فسنجدُ نصوصًا هي أشدُّ وضوحًا من الشمس في رابعة النهار، وسنقفُ على إشاراتٍ هي أكثرُ دلالةً لكلّ ذي لبّ، ولمن أُوتيَ أثارةً من علمٍ، وفهمٍ، أو رُزق عقلًا يزنُ به الأمور، أو قصدَ العدل والإنصاف، وخرج من رداء الإقليمية المقيتة، والقبلية البغيضة، ومن ثمّ سيقتنعُ لا محالةَ، ويُسلّم إلى حقيقة خلوّ هذا الإقليم على امتداده الجغرافي من سلطةٍ سياسية حاكمة لها

= **غاية المرام بأخبار سلطنة عمان الحرام**، ج2، تحقيق فهيم شلتوت، ط1، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى1988، م، ص483، 534.

(1) تذهب هذه المزيّفات إلى أن الأمير علي بن وهاس اليزيدي كان يحكم بلاد عسير في الفترة (818 ـ 845هـ)، والأمير ابراهيم بن عائض اليزيدي كان يحكم في الفترة (862هـ ـ 942هـ). وهذا الأخير استمر في الحكم 80 سنة بزعمهم.

شهرتها كتلك التي تُصورها المدونات الزائفة قبل وصول نفوذ الدولة السعودية الأولى إليها؛ والمتأمل، والمتتبع الدقيق سيصلُ إلى أنّه لا توجدُ أيّ إشارةٍ لا من قريبٍ ولا من بعيد في هذه المصادر الموثوقة إلى شخصيّةٍ من تلك الشخصيات الحاكمة التي امتلأتْ بها تلك المؤلفات، ووصفتهم، وروّجتْ لهم أمراء، وحكّامًا من اليزيديين المنتمين ـ بزعمهم ـ إلى الخليفة الأموي يزيد بن معاوية؛ ثم ليستحضر العداوة الشديدة والمستمرة بين العلويين والأمويين، ولينظر بعقله، وعين فهمه هل لو كان اليزيديون الأمويون موجودين في هذه البلاد ألم يكن أول ما يُمكن أن يحصلَ هو اجتماع جميع الخصوم الزيدية، والمتصارعين على الإمامة، وتناسي عداواتهم وخصوماتهم إلى حين القضاء التام على هذا العدوّ الأزلي؟! وعندئذ نقولُ لهؤلاء الذين ما زالوا في غيّهم يعمهون، وفي ظنونهم يخوضون، ولأباطيلهم يلوكون، ويؤمنون بوجود إمارة أموية، بل حكامًا ينتسبون إلى أكثر شخصية يكرهها الشيعة!! ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصَّافات: 154].

ففي حوادث سنة 902هـ / 1496م يذكر المؤرخ اليمني الزحيف نصًا هو شاهد عيانٍ فيه، وفحواه أنّ الإمام الحسن بن عز الدين بن الحسن المؤيدي (ت929هـ/ 1523م)[1] لمّا حلّتْ

(1) هو الإمام الناصر الحسن بن عز الدين بن الحسن المؤيدي (862 ـ 929هـ) كان أحد كبار علماء الزيدية في عصره، وله العديد من المؤلفات؛ وقد دعا إلى نفسه بالإمامة عقب وفاة والده في رجب سنة 900هـ، وبايعه جماعة من العلماء والأعيان وبث دعوته في سائر البلدان. لكن خالفه بعض قرابته، ونشبت بينهم الصراعات؛ فكان أن قام الإمام محمد بن علي السراجي الوشلي =

به الهزيمة في صراعه على الإمامة مع الإمام محمد بن علي الوشلي (ت910هـ/ 1504م)[1]، لم يكن أمامه غير قبائل السراة شمالي صعدة ليستعين بهم على حرب خصمه الوشلي بعد أن انضافت جلّ القبائل الزيدية إلى خصمه؛ ولم يبقَ معه إلّا القليل من خالص أتباعه، وهم لا يُغنون شيئًا في حرب خصمه؛ فكان أن خرج إلى بلاد السراة، ونزل في أكثر من بلدةٍ منها كـ«الفيضة» و«العرين» و«الحرجة»، وتلك النواحي[2]؛ وهذه كلّها تقع الآن في عسير، يسألهم النّصرةَ والعون في قتال الإمام الوشلي؛ ويذكر المؤرخ الزحيف أنّه كان بمعيّته في ذلك المسير، وأنّه لمّا وصلها، وطاف بها، استقرّ في الحرجة مدّة أربعين يومًا، وأنّ قسمًا كبيرًا من أهلها دان له بالطاعة؛ عدا جماعة من أشراف راحة بني شريف عارضوا، واعتذروا بأنّ لهم بيعة في عنقهم لخصمه الإمام محمد بن علي السراجي الملقب بالوشلي؛ ويظهرُ من هذا قوّة هذه القبائل التي يسعى الخصوم من الزيدية إلى استقطابها، واستمالتها إلى جانبهم،

= بالدعوة لنفسه في صعدة، وطرد منها الحسن، وبث دعاته إلى كثير من البلاد ومنها السراة. أنظر: محمد أبو علامة، **التحفة العنبرية**، الورقة 302، وما بعدها، عبد السلام الوجيه، **أعلام المؤلفين الزيدية**، ط 32 مؤسسة الإمام زيد، صنعاء 2018م، 1/ 329.

(1) أنظر ترجمته في **التحفة العنبرية**، الورقة 307، وما بعدها، **وأعلام المؤلفين الزيدية**، 2/ 302.

(2) كلها في منطقة عسير حاليًا؛ والحرجة: مدينة مشهورة كانت قديمًا قاعدة قبائل شريف، وسنحان، تقع في بلاد قحطان من بلاد عسير السراة وهي الآن مركز إمارة تابع لمحافظة ظهران الجنوب. الحربي، **المعجم الجغرافي**. 1/ 452، وما بعدها.

والتقويّ بهم على خصمه، ولذلك سعى الإمام الحسن إليهم بنفسه، والتأثير فيهم بالخُطب وقصائد الشعر التي يمدحهم بها من معه من أتباعه الذين يُحسنون قول الشعر.. حيث يذكر الزحيف أنّه قام في سوق الحرجة وكان يوم الجمعة[1] فأنشد قصيدة مدحَ فيها قبائل قحطان من «شريف» و«بني بشر» و«وآل زيد» وشيوخهم، وحمّسهم ودعاهم إلى بذل الطاعة لإمامه الحسن[2]، ومطلعها:

لـــواؤك مـــنـــصـــورٌ وبُـــرجـــك طـــالـــعُ
ووجـــهـــك وضّـــاحٌ ونـــورك ســـاطـــعُ

إلى أن يقول:

إلـى أن حـطـطـتَ الـرّحـلَ عـنـد قـبـيـلـةٍ
لـهـا كـلّ يـومٍ فـي الـركـاب صـنـائـعُ
شـــريـــفُ شـــريـــفٍ شـــرّفَ الله قـــدرهـــم
وحـــاطـــهـــمُ مـــن كـــلّ ســـوءٍ بـــواقـــعُ
فـهـم روس قـحـطـان بـن هـودٍ وصِـيـتـهـم
بـــكـــلّ بـــلادٍ مـــالـــه قـــطّ دافـــعُ
وفـــي آل بـــشـــرٍ قـــد نـــزلـــتَ وخـــيّـــمـــتْ
خـــيـــامـــك حـــولـــي مـــن لـــه الله رافـــعُ

---

(1) يبدو أنّ هذا السوق قد تغيّر موعده بعد ذلك، وأصبح يوم الإثنين ـ كما هو معروف الآن.

(2) أنظر: كتابه: مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، حققه عبد السلام الوجيه وخالد قاسم، مؤسسة الإمام زيد، صنعاء 2002م، 3/ 1264، ومحمد أبوعلامة، التحفة العنبرية، الورقة 304أ، والشرفي، اللآلئ المضيئة، مخطوط مصور ـ ق2، ورقة 564 ـ ترقيم حديث.

فـإنّ بـنـي بـشـرٍ أُسـودٌ ضـراغـمٌ
وأسـيـافُ صـدقٍ فـي الـحـروب قـواطـعُ
يـحـوطـون من أضـحـى نـزيـلاً بـسـوحـهـم
كـمـا حُـفـظـت بـيـن الـكـرام الـودائـعُ
وزَانَـهـمُ مـن آل زيـدٍ عـصـابـةٌ
كـمـا زيّـنـتْ كـفَّ الـكـريـم الأصـابـعُ
قـضـاةٌ كـأمـثـال الـنـجـوم إنـارةً
وهـديًـا إذا زلّ الـغـويّ الـمـنـازعُ
هـمُ عـرفـوا حـقّ الإمـامِ وأخـلـصـوا
ودادهـمُ حـتـى اسـتـفـاد الـمـراجـعُ

إلى أن يقول:

أجـابـوا الـنّـدا مـن غـيـر لـومـة لائـمٍ
وأحـيـوا مـنـار الـدّيـن قـصـدًا وطـاوعـوا

. . الخ؛ فكان أن استجاب له أكثر هذه القبائل، وسلموا له أموال الواجبات، ورضوا بالخروج معه لقتال خصمه. ويمكن توجيه هذا النّصّ، وهذه الموافقة على الخروج مع إمام زيدي وتعليلها بأمرين، أو بأحدهما:

- إمّا أن تكون هذه البيعة مشوبةً بنوع من التبجيل والعاطفة تجاه آل بيت النبي ﷺ الّذي ينتمي أليه أولئك الأئمة، ولأنّ هذه القبائل بما جُبلت عليه من صفات الكرم، والشهامة، والنخوة، وإغاثة الملهوف أضحت ملاذًا للفارّين من أئمة الزيدية وغيرهم.
- وإمّا أن يكون الدافع إلى هذا حاجة سكان هذه البلاد ـ المتاخمين لسلطان هؤلاء الأئمة ـ إلى شخصيّة لها

اعتبارها، كسلطة حاكمة تستطيع فرض الأمن، وتقوم بتنظيم أحوالهم، ويرتكنون إليها في شؤونهم الادارية ومناحي حياتهم، ويستمدون منها نوعًا من السلطة والنظام في بلادهم للحيلولة دون قيام الحروب الداخلية، والقبلية بينهم، ويرتهنون إليها في جمع شتات أمرهم، ومن ثم التأليف بينهم. ولذلك لـمّا لم تكن هناك سلطة قبلوا بالانضواء ـ ولو اسميًا ـ إلى سلطة أولئك الدعاة من الأئمة؛ وأيضًا فإنّ المتأمل في النّص سيجد أنّه قبول لم يصل إلى الخضوع الكلّي للسيطرة السياسية لأولئك الأئمة والدعاة الزيدية، والإذعان الكامل لسلطتهم، ولا تعدو أن تكون نوعًا من الطّاعة المؤقتة اضطرارًا، وذلك لأنّ القبائل لم تكن تدين، وتخضع في الحقيقة لغير شيوخها. وفي كلا الحالتين فإنّ الدافع هو عدم وجود سلطة في هذا الإقليم كلّه. بل نلحظ أنّ بعض هذه القبائل، وخاصّة تلك المتاخمة لا تجد عندها أيّ نوعٍ من الولاء، والقبول الدائم للخضوع لأية سلطةٍ تحكمهم، وتحول دون النزوع إلى سليقتهم، وجبلّتهم في التحرّر من أيّ سلطة حاكمة[1]؛ ولذلك حينما نراهم يوافقون على نوعٍ من التبعية لبعض هؤلاء الأئمة، أو يحتاجوهم في بعض المنعطفات من حياتهم سُرعان ما يسعون في الانفكاكِ منها، فيتحولون سريعًا إلى تبعيّةٍ هشّة لسلطة أشراف مكة المكرمة، ومن ثم تراهم يركنون إلى

(1) ومن خلال تلك النصوص، ودراسة واقع حال هذه القبائل لم يخضعوا خضوعًا كاملًا، ومستمرًا إلّا للدولة السعودية؛ ولذلك أسباب وعوامل ليس هنا موضع تفصيلها.

الإذعان لسلطانهم عليها ومتابعتهم، ومشايعتهم وتقبّل ما يُصدرونه من أوامر، وتنفيذها حتى على الحجاج من أهل اليمن السالكين لديار تلك القبائل في طريقهم إلى مكة المكرمة؛ ولا يستطيع ولاة اليمن التحكّم في تبعيّة هذه القبائل، ولا توفير الحماية لحجاجهم؛ ونستدلّ على هذا بما ورد عند ابن الديبع في حوادث سنة 915هـ من اضطرار حجاج اليمن الذين سلكوا طريق السراة إلى العودة دون إكمال حجهم. قال ابن الديبع: «**وفي شهر ذي الحجة رجع حجاج اليمن من (الواديين)**[1] **بسبب أنّ الشريف بركات (ت931هـ/1525م)**[2] منعهم من الوصول من ناحية البر... الخ»[3]. ولا تفسير لهذا النصّ إلّا أنّ سلطة الأشراف كانت تمتدّ وقت ذاك إلى الواديين التي تبعد عن أبها حاضرة عسير ما يقرب من 45كم شرقًا؛ وحتى مع هذه السلطة فإنّ شيوخ القبائل السرويّة ـ كما سبق القول ـ سرعان مايتذمرون من أية تبعيّة لسلطة خارج سلطة القبيلة، ويرفضون الانصياع لها، وقد يصل الأمر بهم إلى المقاومة المسلحة؛

---

(1) هي الآن مسمى لمركز إداري لقبيلة الحاف، وآل الجحل من رفيدة من قحطان يتبعه عدد من القرى والمزارع، والقبائل يقع جنوب غربي محافظة أحد رفيدة.. ذكره ياقوت في معجمه، وذكر أنه مسمى لبلدة في جبال السراة. علي الحربي، **المعجم الجغرافي**.. عسير، 3/ 1606، وما بعدها.

(2) هو أميرمكة الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان (858 ـ 931هـ). خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002م، 2/ 49.

(3) عبد الرحمن الديبع، **قرة العيون بأخبار اليمن الميمون**، حققه محمد الأكوع، بيروت، 1409هـ، ص455.

ويمكن أن نستدلّ على هذا بنصٍّ متقدّم ورد عند عمر بن فهد يذكر أنّ شريف مكة بركات بن حسن[1] أرسل جيشًا كبيرًا على رأسه ابن عمّه الشريف رميثة بن محمد بن عجلان في سنة 837هـ/ 1433م للإغارة على شهران وغيرها في بلادها، ويبدو أنّه أراد تأديبهم، أو أراد نهبهم، وخاصّة أنّ الأشراف كانوا يمرّون بضائقة مالية نتيجة وباء، وكوارث حلّتْ بمكة في هذه السنة؛ لكنّ حملة شريف مكة فوجئت بمقاومة شديدة من قبائل شهران ومن معها من العربان، وانجلت المعركة عن مقتل السيد رميثة، والقائد جمّاز بن مقبل العُمري، ومجموعة من كبار قوّاد الجيش، وهزيمة جيش شريف مكة هزيمة منكرة[2].

ومن الأدلّة الظاهرة أيضًا على أنّ أهل هذه البلاد لم تكن عليهم سلطة ينضوون تحت لوائها، ويأتمرون بأمرها غير سلطة شيوخهم؛ أنّ هؤلاء الشيوخ وقبائلهم كانوا أمام الحاجة للمال لا يمتنعون من تقديم خدماتهم العسكرية لمن يحتاجها، ويُريد الاستعانة بهم في حروبه سواءٌ من أئمة اليمن، أو غيرهم من الحكام المتغلبين في البلاد المجاورة لهم، ومن ذلك ما ورد أنّ العلّامة عماد الدين يحيى بن صلاح بن محمد

(1) الشريف بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة، شارك والده في الحكم، ثم انفرد بإمارة مكة فحكمها من 829هـ إلى أن عُزل سنة 845هـ، وقبل وفاته أُعيد إلى الإمارة، وما لبث أن توفي سنة 859هـ. النجم عمر بن فهد، **اتحاف الورى**، حققه فهيم بن محمد شلتوت، ط1، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى 1403هـ، 4/ 355. والزركلي، **الأعلام**، 2/ 49.

(2) **اتحاف الورى بأخبار أم القرى**، 4/ 70، وما بعدها.

(ت908هـ/ 1502م)[1] كان قد دعا لنفسه بالإمارة في صعدة بعد طرد الإمام الحسن المؤيدي منها، فلمّا بلغه أنّ المنصور بالله الوشلي عازمٌ على القدوم إليه من صنعاء لاستخلاص صعدة منه، ولم يكن تحت يديه جيشٌ يعتمدُ عليه في مواجهة الوشلي، فخرج إلى ذهبان، وبيشة في شهران؛ فجمع خيلًا كثيرًا، وخرجوا معه؛ لكنّ هؤلاء ونتيجةً لعدم وجود ولاءٍ ولا تبعية منهم له، وربما كان خروجهم معه تعاطفًا، أو وعدهم بالغنائم وهو المرجّح؛ ذلك لأنهم ما إنْ خالطهم الوشلي بجيشه حتى انفضّوا عن يحيى بن صلاح، وفرّوا عنه، وخذلوه كما يقول يحيى بن الحسين، وابن أبي الرّجال[2].

ومن ثمّ فلو كانت هناك دولة، وسلطانٌ عليهم في هذه الفترة كما تزعم المؤلفات العسيرية الزائفة، ومن اغترّ بها[3] لما عملوا

(1) يحيى بن صلاح بن أبي الفضائل. ذكر ابن أبي الرجال في مطلع البدور، تحقيق عبد الرقيب حجر، مركز آل البيت، صعدة 2004م، 4/ 496. أنه كان له في العلوم يدٌ طولى، وكانت له إمارة في صعدة، ومعارضة للأئمة، ولكنه فشل في الحفاظ على إمارته بعد أن خذله من استعان بهم من القبائل. فسكن صنعاء حتى وفاته سنة 908هـ.

(2) طبقات الزيدية الصغرى (المستطاب) ـ مخطوط مصور ـ ورقة 300؛ ومطلع البدور، 4/ 496.

(3) تزعم هذه المؤلفات، والمدونات أنّ حاكم عموم بلاد عسير في هذا الوقت هو الأمير ابراهيم بن عائض بن علي بن وهاس (862 ـ 942هـ/ 1457 ـ 1535م). أنظرعلى سبيل المثال: امتاع السامر بتكملة متعة الناظرلشعيب الدوسري، القسم الثاني من الجزء الأول، دارة الملك عبد العزيز، ص339؛ تاريخ عسير خلال خمسة قرون في رسالة ابراهيم الحفظي، تحقيق محمد بن مسلط البشري، ط 5، 1423هـ، د.م، ص34.

كجنود ترتزقُ من الأموال التي يأخذونها ممن يطلب عونهم الحربي، أو خرجوا بغير إذن أميرهم؛ ولو افترضنا أنّ أميرهم معهم فلمَ سكتت عنه هذه المصادر المشهورة التي ساقت الخبر؟! وفي السياق نفسه فعندما قام الباشا أزدمر[1] بمطاردة أحمد بن عزالدين المؤيدي[2] عقب بيعته بالإمامة سنة 958هـ/ 1551م هرب منه إلى الحرجة، فوجّه الباشا بحملة إلى جهات ظهران الجنوب فهرب الإمام أحمد منهم إلى الواديين بعد أن قام أهل الحرجة بالهرب منها أيضًا، وإخلائها خوفًا من بطش الأتراك[3]. ومن يتأمل هذا النص سيقف على أنّه لو كانت

---

(1) شركسي الأصل، فخدم الدولة العثمانية، وترقى في المناصب العسكرية حتى بلغ أرفع المناصب، وعندما خرج سليمان الخادم على رأس الحملة المتجهة للهند واليمن سنة 945هـ، كان في رفقته، ثم أصبح أحد الأمراء المشهورين، وصدر تعيينه من المقام العالي عُين واليًا على اليمن في في سنة 955هـ/ 1548م، بعد مقتل أويس باشا. ويُعد أحد القادة العثمانيين الذين ينسب إليهم الفتح العثماني الأول لليمن. أنظر قطب الدين النهروالي، **البرق اليماني في الفتح العثماني**، ط2، منشورات المدينة 1986م، في صفحات عديدة؛ سيد مصطفى سالم الفتح العثماني الأول لليمن 1538 ـ 1635م، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1978م، ص 187، وما بعدها.

(2) وصفه ابن ابي الرجال في ترجمته، من مطلع البدور، 1/ 363: بالسيد الكبير، وبأنّه من كبار العلماء في وقته، تولى القضاء لأخيه الإمام الحسن، ولابن عمه الإمام مجد الدين المؤيدي توفي سنة 940هـ.

(3) الزحيف، **مآثر الابرار في تفصيل مجملات جواهر الاخبار**، تحقيق عبد السلام الوجيه، خالد المتوكل، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، 3/ 1412 ـ 1413.

هناك سلطة حاكمة[1] لتصدّت لحملة الأتراك، ولما احتاج أهل الحرجة إلى الهرب؛ ومن جانبٍ آخر لم يكن الإمام أحمد المؤيدي ليستطيع التنقل والهرب من الأتراك عبر البلاد حتى الواديين دون أن يتواصل مع هذه السلطة، أو يحصل على إذنٍ منها، أو حتى يحتمي بها، ويستعين بها على مطارديه؛ وكذلك فإنّ الملاحظ أنّ الأتراك كانوا يتتبعون كلّ ذي سلطة بالحرب والمطاردة له حتى هزيمته أو مقتله، والاستيلاء على أملاكه، وكانوا يكتفون بمطاردة من يهرب منهم من أئمة الزيدية إلى بلاد السراة فيلاحقونه أحيانًا حتى الحرجة، ثم لا يُجاوزونها؛ ومن البدهي أن يتبادر إلى ذهن أيّ باحث ويتساءل: لماذا لم تواصل هذه الجيوش التركية التقدّم في بلاد السروات للاستيلاء عليها كما فعلوا في اليمن، وفي المخلاف السليماني وتهامة؟! ومن المؤكد أنّ هؤلاء الأتراك كانوا يعلمون أنّ هذه البلاد لا يوجد فيها أية سلطة، أو إمارة غير القبائل فقط؛ لذلك لم يكن همّهم أن يصطدموا بهذه القبائل، ولم يكونوا في حاجة إلى الدخول في صراعات معها، خاصةً وهم يرونها تفرّ من أمامهم، ولا تثبت لهم في الغالب؛ كما أنّه لم تكن سياستهم الحربية، وجيوشهم موجهّةً إلّا إلى إمارات، وحكومات، وسلطات، وجيوش. ويدلّ على هذا أنّ الأتراك قد دخلوا عسير في أواخر القرن الثالث عشر يوم كانت هناك سلطة سياسية قائمة[2].

---

(1) في تلك المؤلفات والمدونات المزيّفة كان يحكم في هذه المدة الأمير: عبدالله بن ابراهيم بن عائض اليزيدي الأموي (942 ـ 982هـ/ 1535 ـ 1574م).

(2) علي أحمد عسيري، **عسير دراسة تاريخية**، ص294، على سبيل المثال.

وما زالت الأدلّة تترى، والشواهد تزدحم في السياق نفسه لتقويض كلّ قولٍ متهالكٍ يذهبُ إلى وجود إمارة يزيدية أُموية تتوارث الحكم في هذه البلاد؛ ومن ذلك ما ورد في حوادث سنة 940هـ/ 1533م، حيث نقف في عدد من المصادر المعاصرة على أنّ الإمام مجد الدين بن الحسن بن عز الدين المؤيدي(1) خرج بأهله إلى الحرجة من بلاد قحطان بعد هزيمته على يد الإمام شرف الدين يحيى(2)؛ ومن المؤكد أنّ أحد دوافعه لاختيارها ما ذكرناه سابقًا عن أهلها، ومَن حولها من قحطان؛ ووصول بعض سلفه إليها منذُ زمن. فقد ارتحل إليها، وأقام بها وأسرته إلى وفاته سنة 942هـ/ 1535م؛ وكان أهلها يسلمون الواجبات المالية إليه طواعية؛ ويوقرونه وأسرته؛ ولعلّ ما صدر منهم تجاهه وهو بين ظهرانيهم نوعٌ من المساعدة،

(1) هو الإمام مجد الدين بن الإمام الحسن بن عز الدين المؤيدي من أسرة حكم، وعلم دعا بالإمامة في سنة 929هـ/ 1522م لكن دعوته لم يُكتب لها الذيوع والانتشار لأن الإمام يحيى شرف الدين دعا في الوقت نفسه، فدانت له البلاد، ولم يستطع الصمود أمامه عندما اجتاح صعدة سنة 940هـ/ 1535م، وفرّ وأسرته وبعض أتباعه إلى الحرجة، وتوفي بها سنة 942هـ. أنظر: مآثر الابرار، 3/ 1377، وما بعدها. ويذكر ابن أبي الرجال في مطلع البدور، 2/ 55، أنّه قد سلك طريق تهامة، وطلع إلى إقليم عسير عن طريق «درب ملوّح» - مدينة الدّرب حاليًا - وذكر له حادثة فيها كرامة للإمام مجد الدّين مع شيخ بني شعبة عندما أراد سلب حصانه منه.

(2) وردت في أكثر من مصدر: منها: مآثر الأبرار، 3/ 1385؛ مطلع البدور، 2/ 55، 56؛ العقيق اليماني - مخطوط - ، حوادث ووفيات سنة 940هـ.

والتقدير كونه من آل بيت النّبي ﷺ ـ كما سبقت الإشارة ـ يدلُّ لذلك قول النعمان الضمدي:

«**ولمّا تحقّق الإمام مجد الدين عدم الطاقة نهض بأولاده وخاصته إلى بلاد الحرجة، واشتغل هناك بالطاعات، وسلّم أهلها إليه الواجبات، وبقي هناك حتى الممات**»[1]. وعليه فلو كانت هناك سلطة سياسية حاكمة لما بادروا ـ دون الرّجوع إليها ـ بتسليم زكواتهم، وصدقاتهم إلى مجد الدين الّذي كانوا يرون فيه شخصية كبيرة من بيت إمامةٍ وعلم وحُكم، ونسبٍ ينتمي إلى الدوحة النبوية الشريفة حيث كانت لّه سلطة سابقة في بلاد اليمن[2].

ومنها أيضًا ما ورد في سنة 945هـ/ 1538م، عندما غزا عزّ الدين ابن الإمام شرف الدين[3] وادعة في ظهران الجنوب، ونكّل بهم وهمّ بالزحف إلى البلاد التي تليها شمالًا.

---

(1) العقيق، حوادث ووفيات سنة 942هـ. وانظر: مآثر الأبرار، 3/ 386.

(2) يذكر الزحيف أنّ أهل الحرجة قد بنوا قُبّةً على قبره، وجعلوا له نذورًا واسعة كان أولاده من بعده يقبضونها، وأنّ له ذريّةً كبيرة مقيمون في الحرجة، وتلك البلاد، وبقي عقبه بعد ذلك، وإن كانوا قد غيروا النسبة من «المؤيدي» إلى نسبةٍ أخرى معروفة الآن في أكثر من موضع من بلاد عسير.

(3) هو أحد أبناء الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين، وكان واليًا لأبيه على صعدة، وقائدًا لجبهتها في حرب العثمانيين، ولم تكن سيرته محمودة. ثم لمّا وقع الخلاف بين مطهر الابن الأكبر لشرف الدين يحيى، وبقية أبناء الإمام وأبيهم انضم إلى أخيه مطهر، لكن الاتراك أسروه وأرسلوه إلى الآستانة فمات في أثناء الطريق قريبًا من ينبع. الكبسي، **اللطائف السنية**، ص175.

قال صاحب السلوك الذهبية: «**ولما أوقع - عز الدين - بوادعة هذا الإيقاع، راع ذلك ما وراءها من بلاد الشام، فوقعوا في الأمر العظيم والخطب الجسيم فاجتمعوا - شيوخ القبائل - في «الحرجة» إلى السيد جمال الدين علي بن زيدّ بن محمد بن أبي القاسم المؤيدي - وكان قد خرج إليها واليًا بأمر الإمام شرف الدين فجعلوا يترددون إليه؛ فكتب إليهم عزالدين كتابًا يتضمن تأمينهم..**»[1].

ومن هذا النّصّ يبدو أنّ بعضًا من شيوخ القبائل خشي من عدم التزام عز الدين بن شرف الدين بما عقده لهم من الأمان، فخرجوا إلى والده الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين يطلبون منه الأمان على بلادهم. ويظهر أنّهم قد أعطوه رهائن؛ إذ يقول في السلوك الذهبية: «**ولم يتعقّب لإصلاح هذه الجهات، ووصول أكثر أهلها، وبذلهم الرهائن وتأكيد العهود. . .**»[2]

وما زالت حوادث القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي في المصادر المعاصرة تحوي الكثير من النصوص الدّالة على خلوّ عموم بلاد عسير من أي شكلٍ من أشكال السلطة، والحكم؛ وما زالت قبائل عسير، وبخاصة السراة تستقبل الفارّين من أئمة اليمن نتيجة خسائرهم في صراعاتهم مع منافسيهم، ويجدون في هذه البلاد الملاذ الآمن عند القبائل وبخاصة من بيت المؤيدي إذ لهم سلفٌ في هذه المواضع من

---

(1) محمد بن إبراهيم شرف الدين: **السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية - سيرة الإمام يحيى شرف الدين** - تحقيق ودراسة، زيد الفضيل، ط1، 2012م، ص309.

(2) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

عسير؛ ففي سنة 958هـ/ 1551م فرّ الإمام أحمد بن الحسين بن عز الدين إلى السراة فسكن «الحرجة»، وذكر المؤرخون أنّه كان حينذاك يُقيم بها الجمعة[1]، وسلّم إليه أهل الشام ـ يقصدُ بلاد السراة ـ واجباتهم ـ كما يقول الزحيف[2] ـ بعد هزيمته أمام الأمير ناصر بن أحمد الحمزي؛ قال النّعمان في العقيق: «**فانكسر الإمام ولم يستطع الصمود في وجه الأمير ناصر ففرّ إلى الواديين بأرض الحجاز. .**»[3]. وفي سنة 972هـ/ 1564م، أصبح قسمٌ يمتدّ من السراة إلى بلاد الحرجة تحت سلطة الولاة العثمانيين في اليمن، بعد أن قُسّمت البلاد الخاضعة لهم إلى ولايتين عثمانيتين، كل ولاية تحت سلطة أحد الباشوات. فكان من النقيل ـ وهي قلعة في رأس جبل صيد ناحية المخادر، بين إب ويريم[4] ـ إلى الحرجة في بلاد قحطان ولاية منفصلة خاضعة لأحد الباشوات[5]. وفي سنة 988هـ/ 1580م، أخرج القائد التركي بهرام محطة من جيشه من

---

(1) يشترط الزيدية وعموم الشيعة لصلاة الجمعة وجود إمام عادل، ولا يكفي وجود الإمام بل لابد مع وجوده من توليته أي أخذ الولاية منه على إقامة الجمعة. .الخ. وفي هذا دلالة على أنّه يرى في نفسه الإمام الذي اكتملت فيه جميع شروط الإمامة. .

(2) **مآثر الأبرار**، 3/ 1411.

(3) مخطوط مصور، ورقة 216، من نسخة نصيف، وانظر: التحفة العنبرية ـ مخطوط ـ الورقة 316.

(4) انظر عنها: الحجري: **معجم بلدان اليمن وقبائلها**، تحقيق إسماعيل الأكوع، ط2، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1996م، 2/ 431. والمقحفي: **مجموع البلدان والقبائل اليمنية**، صنعاء، 1989م، 2/ 211.

(5) النعمان: **العقيق اليماني**، (حوادث ووفيات سنة 972هـ).

صعدة إلى الحرجة لمطاردة الإمام الحسن فلما وصلت إليها هرب أهلها منها، وفرّ الإمام الحسن إلى الواديين خشية القبض عليه من بهرام وجيشه[1]؛ ومن البديهي أنّه عندما تكون هذه البلاد السروية العسيرية مسرحًا مفتوحًا، ومستقرًّا لهؤلاء الأئمة من الزيدية الفارّين من خصومهم في اليمن؛ فتجدهم تارةً يستعينون بأهلها على نصرتهم، وأُخرى يدعونهم إلى التبعية والطاعة لهم، ويستحصلون منهم زكواتهم، وما يجبُ في أموالهم وِفق مذهب الشيعة فيسلمها الأهالي من قحطان وغيرهم من أهل هذه البلاد بطيب نفسٍ، دون قسرٍ أو كراهة على ذلك، ناهيك بالإقامة الدائمة أو المؤقتة بين ظهرانيهم فيهم.. الخ.

فهل بعد هذا كلّه يُمكن لأحدٍ أن يتصور، أو حتى يظنُّ ظنًّا أنّ في هذه البلاد سلطة للأمويين، وأُمراء يحكموها من سلالة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان؟! والله المستعان.

وعندما ننظر في حوادث، وماجريات أواخر القرن العاشر الهجري سنقفُ على مصدرٍ موثوقٍ ـ ما يزال مخطوطًا[2] ـ له أهميته الكُبرى في الاستدلال بما ورد فيه من نصوص على ما نسعى لتوضيحه في هذا العمل العلمي، وما نرمي إليه من ردّ كلّ ما ورد من اختلاقات، ومزاعم عن التاريخ السياسي لعسير قبل

---

(1) النعمان: المصدر نفسه (حوادث سنة 988هـ).

(2) **التحفة العنبرية في المجددين من أبناء خير البرّية**، منه عدّة نسخ، وقد عُدتُ إلى نسخة دار المخطوطات في الجامع الكبير بصنعاء؛ وقد قمتُ باستخلاص هذا النّص وتحقيقه، ونشره بعنوان «رحلة الإمام عبدالله بن علي المؤيدي إلى بلاد عسير» (994 ـ 1006هـ/ 1585 ـ 1597م) في مجلة كلية اللغة العربية، جامعة المنصورة، ع 34، 2015م ص 265 ـ 317.

وصول نفوذ الدولة السعودية الأولى مطلع القرن الثالث عشر الهجري؛ وتبرز أهمية ما حواه هذا المصدر المهم من نصّ ناصع، ووثيقة قاطعة الدلالة على ما نحن بصدده في أنّ المؤلف محمد بن عبدالله أبو علامة (972هـ ـ 1044هـ)[1] كان صحبة والده الإمام عبد الله بن علي المؤيدي (935هـ ـ 1017هـ)[2] عندما رحلا فارّين مع أسرتهما إلى بلاد عسير والسراة في سنة 994هـ/ 1537م، وجاسا ومن معهما من أهلهما بلاد عسير والسراة من أدناها بلاد بني مغيد إلى أقصاها بلاد الواديين، والحرجة ووادعة؛ والمكوث سنين طويلة في قرية «ذهبان» قاعدة بلاد شهران آنذاك حتى سنة 1006هـ/ 1549م، ثم انتقالهم منها إلى الواديين وغيرها من هذه البلاد السروية. ولا تقتصر أهمية هذا النصوص الصريحة، والموثوقة في هذا المخطوط على نفي وجود أيّ سلطة غير سلطة القبائل، وشيوخها؛ بل بما تحمله من مضامين وإشارات عن شخصيات، ووقائع لا نكادُ نجدُ لها ذكرًا في غيره إلّا ما ورد في مصادر أُخرى تعضدُ هذا النصّ، وتؤكد محتوياته وإشاراته.

فها هو يصفُ أنّه حينما وصل والده الإمام إلى صبيا، واجتمع به علماء تهامة نصحوه بأن يرتحل إلى بلاد السراة، فهناك سيكون في مأمن من غائلة الأتراك؛ وخرجوا معه إلى درب ملوح[3] للسعي في وصوله سالمًا إلى هذه البلاد؛ ولأنّ عسير يحكمها شيوخ القبائل، ولكلّ قبيلةٍ منهم أُطرها

(1) أنظر ترجمته في أعلام المؤلفين الزيدية، ص 925.

(2) ترجم له ابنه في هذا المصدر ترجمة موسعة، الورقة 310، وما بعدها؛ وأعلام المؤلفين الزيدية، ص 599 ـ 600.

(3) هو المعروف الآن بدرب بني شعبة في منطقة جازان.

الجغرافية، وحدود سلطتها الداخلية التي لها حق الحلّ والإبرام فيها؛ فقد قام هؤلاء العلماء بالتواصل مع الزعامة القبلية التي كانت تدير شؤون عسير وقتذاك، وهم آل مدحان؛ قال المؤرخ محمد أبوعلامة في سياق ذلك:

«فرجحوا انتقاله إلى السراة ببلاد قحطان مهاجر آبائه وأجداده فيما مضى من الزمان فارتحل من صبيا وشيّعه العلماء إلى السلامة[1] فتلقاهم أهلها بالإجلال والإعظام والكرامة. وذلك في جمادى الأولى من السنة المذكورة، ثم إلى عتود[2] ثم إلى درب ملوّح الشهير،

---

(1) السلامة المقصودة هناهي: ما يُعرف الآن «بالسلامة السفلى» قرية على وادي بيش في الجنوب الغربي منه، وهما قريتان، هذه، والسلامة العليا، وتقع إلى الشمال الشرقي من السفلى. ولكن المقصود هنا هي السفلى التي كانت قديمًا تسمى «سلامة الأشراف»، و« سلامة بيش»، وهي قديمة جدًا فقد ورد ذكرها في رحلة الملك المجاهد الرسولي عندما مرّ بها أثناء عودته من رحلة حجه سنة 742هـ (الملك الأشرف إسماعيل: فاكهة الزمن، ومفاكهة الآداب والفنن في أخبار من ملك اليمن، دراسة وتحقيق علي حسن علي، رسالة دكتوراه غير منشورة: كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية، جامعة تونس، 2004 ـ 2005م، 1/ 678. كما ورد ذكرها عند الناشري في كتابه غرر الدرر في السير وأنساب البشر، مخطوط مصور. ورقة 119 وسماها سلامة بيش.

(2) عتود: واد معروف على طريق الحاج الساحلي، يقع بين بيش ودرب ملوّح. وذكره قديم، وما يزال يحمل هذا الاسم إلى الآن؛ انظر: الهمداني صفة جزيرة العرب، ص126، البكري، معجم ما استعجم، 3/ 919، وياقوت الحموي: معجم البلدان4، / 83؛ وذكر الأكوع في حاشيته على الهمداني ص 77 «أنه واد أعلاه في عسير، وأسفله في تهامه»، بينما ذكر عاتق البلادي في كتابه: =

وطلبوا جماعة من عقال عسير، فوصل مشايخ بني مغيد[1] «**آل مدحان**»[2] فأعطوهم ما طلبوا[3] وشرطوا عليهم أن يوصلوا الإمام إلى ذهبان[4] فارتحل بأولاده إلى مهاجر آبائه

= بين مكة واليمن، دار مكة، 1424هـ، ص241 أنه واد فحل من أودية تهامة، مساقط مياهه من السراة.

(1) بني مغيد: تُعد أقوى قبائل عسير وأكثرها شهرة وعددًا، وتمتد قرى هذه القبيلة على طول وادي أبها وما ينجر إليه من روافد ويجاورها من الشرق شهران، ومن الشمال: علكم وبنو مالك، ومن الغرب رجال ألمع، وما بعده من بلاد وائلة التي تُعدُّ في بني مغيد، ومن الجنوب قحطان وشهران، وبنو شعبة، وحاضرتها أبها، وهي بطون عدة منهم: آل مدحان... محمود شاكر: عسير، ص 55؛ هاشم النعمي: تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص 69؛ ومقاله: عسير: قبيلة وبلادا، **مجلة العرب**، ع 3 ـ 4، (رمضان، شوال) 1412ه/ مارس 1992، ص 195؛ علي عسيري: **عسير من 1249هـ ـ 1289هـ دراسة تاريخية**، ص 83.

(2) هذه المعلومة في المؤلفات التي كتبت عن عسير القبيلة أو عسير المنطقة، غير معروفة ولم ترد عندهم بهذا التفصيل والوضوح. وذهب بعض الباحثين إلى أنّه لم يبق من هذه العشيرة في عصرنا هذا إلا نفران أو ثلاثة، منهم ابن معنّى. هاشم النعمي، **تاريخ عسير في الماضي والحاضر**، ص19.

(3) أي أن آل مدحان اشترطوا على علماء المخلاف تسليم جعلٍ لهم كي يقوموا باستقبال الإمام، وخفارته، وتوفير الحماية له حتى يصل إلى مبتغاه في السراة.

(4) كانت قاعدة بلاد شهران، ووصفها ابن المجاور في عصره بأنها «أُم القرى»، بلاد عز، وأنّ أعمالها تبلغ أربعين فرسخًا، وهي نجد اليمن، وهي قليلة الجبال مستوية البقاع. وهي الآن أحد أحياء مدينة خميس مشيط. أنظر عن ما سبق: ابن المجاور، **تاريخ المستبصر**، ص50، وعبدالله بن علي المؤيدي، =

وأجداده[1]، فلمّا وصل به المشايخ قريتهم «مناظر»[2] قرّت من العلماء القلوب والنواظر..»[3].

فهذا نصٌّ مصدريٌّ واضحٌ كلّ الوضوح؛ لا مجال فيه للتأويل، أو النّكوص عن مضامينه البارزة في ظهور سلطة القبيلة وشيوخها على ما عداها[4]؛ أمّا لماذا لم يهتم آل مدحان بهذا الإمام، ولم يبدوا تجاهه أيّة مشاعر كما أبداها شيخ شهران ـ

= التحفة العنبرية، الورقة 321، وعلي إبراهيم الحربي، **المعجم الجغرافي**، منطقة عسير، 2/ 688.

(1) سبقت الإشارة إلى أنّ عددًا من آل المؤيد الذين كانوا في صعدة وفي غيرها من اليمن الأعلى قد ارتحلوا نتيجة أسباب سياسية، واقتصادية إلى هذه البلاد منذُ قرون سلفت.

(2) مناظر: كانت إحدى القرى التي تقع على وادي أبها، وهي تقوم على تلٍ صخري. وكانت قرية عشيرة بني مدحان وبها سوقهم المشهور بسوق آل مدحان، وهو سوق الثلاثاء الآن. ويذهب بعض الباحثين إلى أن مناظر هي أصل مدينة أبها، حيث قامت بعده بقية الأحياء الأخرى. انظر عن كل ما سبق: هاشم النعمي: **تاريخ عسير**، ص 19. علي الحربي: **المعجم الجغرافي** ـ منطقة عسير ـ 1/ 129، علي عسيري: **أبها في التاريخ والأدب**، ص32 ـ 33، فيلبي: **مرتفعات الجزيرة العربية**، تعريب: حسن مصطفى، 1/ 282. فؤاد حمزه: **في بلاد عسير**: ص 127.

(3) **التحفة العنبرية**، ورقة 322أ. ويقصدُ أنّ علماء المخلاف السليماني الذين تولوا عقد الاتفاق بين الإمام، وبين آل مدحان شيوخ قبيلة بني مغيد من عسير؛ قد اطمأنّت نفوسهم عندما وصل به هؤلاء الشيوخ القبليين إلى قريتهم مناظر.

(4) «بينما في زعم تلك المدونات أنّ الذي كان يحكم عسير في هذه السنة التي وصل فيها الإمام إلى مناظر في أبها هو الأمير الأموي» ثامر بن عبدالله اليزيدي (989 ـ 998هـ/ 1581 ـ 1589م)، وخلَفَه أخوه سالم بن عبدالله (998 ـ 1005هـ/ 1589 ـ 1596م).

كما سيأتي ـ فربما يعود ذلك إلى عدم اهتمامهم به؛ وكان تفكيرهم منصبًّا على الأجر الذي يأخذونه كي ينقلوه إلى حدودهم مع قبائل شهران، وزعامتها في ذهبان[1]؛ كما يمكن أن نستشفّ من هذا النص المصدري مجموعة من الأفكار نُجملها في التالي:

* أنّه يُستدلُّ به على أنّ مسمى أبها كمدينة لم يكن معروفًا ـ وقتذاك ـ بل كانت قرية مناظر لآل مدحان هي المعروفة حينذاك.

* لعلّ هذا يُعزّز قول من يذهب إلى أنّ مسمّى (أبها) يطلق في العموم على الوادي المعروف، كما يدلّ كذلك على أنّ مسمى (عسير) كان يُطلق على القبائل التي تسكن ضمن نطاق الحدود المعروفة لهذه القبائل فقط، وأكبرها وأشهرها قبيلة بني مغيد، ثم علكم، وبني مالك، وربيعة ورفيدة، وعلى أنّ عسيرَ كنطاق جغرافي وقت ذاك كان مقتصرًا على امتداد قبائله في حدودهم الجغرافية.

* ورود لفظ «عُقّال عسير» ثم بعده لفظ «فوصل مشايخ بني مغيد آل مدحان» لعلّه يدلّ على أنّ بني مغيد كانت تمتد حدودهم وقتذاك حتى تلتقي بحدود بني شعبة في تهامة ومدينتهم (الدرب)، وتمتدُّ شرقًا حتى ذهبان شهران؛ والله أعلم.

* كما نستفيدُ منه أنّ زعامة قبائل عسير في «أبها» كانت لآل

---

(1) وما تزال هذه العلامات الجغرافية معروفة إلى الآن في شرقي أبها عند الالتقاء بينها وبين خميس مشيط التي كانت ذهبان هي قاعدتها قديمًا، إذ لم تكن الخميس معروفة وقتذاك

مدحان من بني مغيد، وأنهمّ الشيوخ الذين كان بأيديهم الحلّ والعقد؛ كما نستدلّ منه على أنّه كان لكلّ قبيلةٍ حدودها، ونظامها، فلا يجرؤ أحدٌ من القبيلة المجاورة على تجاوز هذه الحدود إلّا بإذنٍ مسبقٍ، وعهدٍ من القبيلة الأخرى.

وقد انتهت مهمة آل مدحان مع الإمام بعد أخذهم المال من علماء تهامة بإيصاله إلى حدودهم مع شهران[1]، والتواصل مع شيخ مشايخ شهران وقتذاك «ابن الحفارص» لتسليمه الإمام وأسرته ـ حسب اتفاقهم مع علماء المخلاف السليماني ـ .

وهنا يبدأُ منعطفٌ آخر في هذا السياق، عندما ننتقل إلى جزئيةٍ تاليةٍ واضحةٍ جليّةٍ في النّص نفسه في هذا المصدر المهم يُفصحُ عن وجودٍ قبليّ في بقعةٍ أُخرى من بلاد عسير، له كيانٌ مستقلّ عن غيره من قبائل الإقليم، وله نظامه وقوانينه، كما أنّ له حدوده المعروفة المعلومة المحفوظة عن أن يدخلها قبيلة أخرى، أو يجتازوها إلّا بموافقتهم؛ ولها مشيخة قبلية متنفذة هي التي تحكمُ، وتحلّ، وتربط، وتقود قبائلها في أحوال السلم والحرب؛ وهو ما يُفسّر لنا حركة تنقل هذا الإمام الزيدي في الإقليم، وفي قبائله منذُ أن بدأ رحلته من بلاد المخلاف السليماني؛ فنرى الإمام الزيدي وأسرته يحلّ في مدينة ذهبان قاعدة بلاد شهران ضيفًا على شيخ شيوخها مريع بن ناصر بن

(1) يُفهمُ مما ورد في كلام سليمان الكمالي أنّ أكمة حمومة هي آخر حدود قبيلة عسير، ومنها شرقًا تبدأ حدود شهران، وقاعدتها ذهبان مركز شهران، وحتى ذلك الوقت لم تكن الخميس معروفة؛ والله أعلم. انظر: **عسير في مذكرات سليمان الكمالي**، بقلم أحمد بن حسن النعمي ـ نصّ المذكرات ـ المطبعة الحديثة، القاهرة، د.ت، ص 212 ـ 213..

الحفارص بعد أن وصل به بني مغيد إلى حدودهم مع ذهبان شهران، وسلّموه لمشيختها؛ ويمكث عنده سنوات معززًا مُكرّمًا، بل ويُسهم هذا الشيخ القبلي في نصرته في بعض حروبه؛ وهاك النّصّ واضحًا جليًّا لا لبس فيه؛ ولا مجال للتأويل، أو المماحكة قال أبو علامة: «**ثم انتقل منها إلى «ذَهبان» وهو خيارُ بلاد شهران**[1]**، وذلك في غُرّة شهر رجب من السنة المذكورة، فلما وصل إليه تلقّاه الشيخ الرئيس الأمجد مُحبّ آل محمّد «مُرَيّع بن مانع بن ناصر بن الحفارص»**[2] **إلى خارج البلد، وصفّ أصحابه، ورحبوا بالإمام ومن معه كعادتهم للضيف بأصواتهم العالية الجسام.**

---

(1) وتسمى شهران العريضة لاتساعها وكبر مساحتها وكثرة عددها، ويحددها الهمداني قديمًا من جرش وأول سراة الأزد، بينما يذكر هاشم النعمي أنّ حدودها من الجنوب قحطان، ومن الغرب بني مغيد من عسير وبللحمر وبنو شهر وبنو عمرو، ومن الشمال: الشلاوة، وسبيع وبلقرن، ومن الشرق تثليث، والقبائل القحطانية، وهي قبائل كثيرة. انظر: الهمداني: **صفة جزيرة العرب**، ص62، فؤاد حمزة، **في بلاد عسير**، ص 158؛ شرف البركاتي: **الرحلة اليمانية**، ص 67، هاشم النعمي: عسير ص 45 ـ 47، عبدالكريم آل طالع، **قبيلة شهران بين الماضي والحاضر**، الرياض، د.ت، ص36. وغيرهم.

(2) التحفة العنبرية، الورقة 322أ. وهذا النصّ المخطوط يكاد يكون هو النصّ الوحيد إلى الآن على حدّ علمي الذي نوّه بهذه الشخصية، وذكرها بالاسم من زعامات شهران، ولا يُعرف عنها الآن شيء. ولم يرد في كلّ ما اطلعتُ عليه مما كُتب عن قبيلة شهران، أو عسير بعامة عن عشيرة آل الحفارص، ولا عن هذا الشيخ القبلي الجليل.

وأدخل أولاد الإمام إلى داره، وما زال عند الإمام يُكثر الحمد والشكر لله أن خصّه بجواره؛ وضيّف الإمام جميع المشايخ آل الحفارص وعدين..»[1]

وعندما أراد الامام عبدالله المؤيدي مواصلة رحلته إلى الواديين[2]، أقسم عليه هذا الشيخ بأغلظ الأيمان أن لا يُبارح ذهبان، وأن يبقى في ضيافته حتى يُدرج الشيخ بن الحفارص في الأكفان، أو يأتي الإمام نصرٌ من الله؛ فرضخ حينذاك الإمام عبد الله المؤيدي، ووافق على أن يبقى ومن معه في ضيافة هذا الشيخ القبلي؛ وحتى يحول دون تفكير الامام في مبارحة ذهبان قام ببناء دار عظيمةً له؛ وألزم جميع قبائل شهران بدفع زكواتهم إليه.. وعندما علمت به قبائل رفيدة وقحطان أقبلت إليه مبايعةً له، ومُسلمّةً زكواتهم، وما يجبُ في أموالهم إليه.. قال أبو علامة في السياق نفسه:

«.. وأمر الشيخ جميع من تحت يديه من قبائله بتسليم واجباتهم إليه، وساق للإمام وأولاده ما يحلّ لهم من

(1) أي كانوا يُقيمون له ولائم الضيافة لمدّة أسبوعين.. وهذا يدلّ على عادة إكرام الضيف المتأصلة في هذه البلاد..

(2) الواديين: مسمى لقرية، أو مجموعة قرى تقع إلى الجنوب الشرقي من أبها، وتبعد عنها قرابة 45كم، وأصبح المسمى أيضًا يطلق على مركز إداري لقبيلة الحاف، وآل الجحل من رفيدة من قحطان، وهي سهل منبسط يقع شمال جبل صحن تمنية. (الحربي: المعجم الجغرافي: 3/ 165). وقد ذكر ياقوت الواديين وأنها بلدة في جبال السراة، لكنه أغرب حين ذكر أنها بقرب مدائن لوط. ولعلّه يعني بلدة أخرى غير الواديين هذه، والله أعلم. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 5/ 346.

الزكوات، واستمرّ على ذلك أحسن الحالات؛ ووصل إليه مشايخ رفيدة[1]، وقحطان[2]، فبايعوه، وألزموا قبائلهم بسوق واجباتهم إليه من جميع الأوطان؛ واهتدى على يديه أكثر أهل تلك البلدان..»[3]. وقد أكّدت بعض المصادر هذه البيعة بالإمامة عقب وصوله إلى «ذهبان»[4].

---

(1) رفيدة: قبيلة عدنانية من بني عنز بن وائل، وتقع منازلها مع عبيدة وجارمة، وتُحد أراضي هذه القبائل الثلاث من الشمال بلاد شهران، ومن الجنوب بني بشر وشريف، ومن الشرف أسافل وادي طريب، ومن الغرب الجهرة وآل حسان وتنطوي على عدد من الأفخاذ. انظر التفاصيل عند النعمي في تاريخ عسير، ص 86، وفؤاد حمزة: في بلاد عسير، ص 154، ومحمود شاكر: عسير، ص 105، وعلي أحمد عسيري: عسير دراسة تاريخية، ص 97، وعبدالله بن مسفر: أخبار عسير، ص 14.

(2) قحطان: مسمى لقبائل عربية من مذحج وهمدان بعضها فروع متحضرة وأخرى عشائر لا تزال على البداوة، وهي ممتدة في أكثر من مكان، والمقصود هنا هم الذين يسكنون ما بين ظهران الجنوب حتى وادي شهران. وتنطوي على عدة قبائل منها بني بشر، وعبيدة، وغيرها. انظر: التفاصيل عند النعمي: تاريخ عسير ص 81، وما بعدها. وفؤاد حمزة: في بلاد عسير، ص 153 وما بعدها وعلي عسيري: عسير دراسة تاريخية، ص 94، وما بعدها.

(3) المصدر السابق، والورقة.

(4) ومنهم: يحيى بن الحسين في إنباء الزمن، مخطوط ورقة 351، وفي طبقات الزيدية الصغرى، ورقة 397، وكذا الشرفي في اللآليء المضيئة، مخطوط، ق3 ورقة 249. وزبارة في تاريخ الزيدية نقلًا عن صاحب البسامة في قوله في منظومته في ذكر الإمام عبدالله المؤيدي:

=

وهذا النّص واضحٌ بيّنٌ بمضامينه، ناصعٌ مشرقٌ بدلالاته سواءٌ في تصوير الحالة السياسية، أو الدينيّة والاجتماعية للإقليم ولا يحتاج إلى تعليق لمن تأمّل.

وقد وردت في المصدر نفسه، وفي مصادر أخرى إشارات ضمن السياق نفسه إلى أنّ الإمام خرج في مجموعة من شهران وقحطان في سنة 996هـ، وكان على رأسهم الشيخ مريّع بن مانع بن الحفارص، كما وعدته خولان بالنصرة إذا وصل إليها؛ لكنه حينما غذّ السير إلى الترك تخاذل عنه أثناء الطريق الكثير ممن خرج معه سواءٌ من شهران وقحطان؛ أو خولان وهمدان، ولم يثبت معه إلّا قلّة كان على رأسهم الشيخ مريع بن الحفارص من شهران، وشيخ بني بشر عاطف بن بشر من قحطان؛ فوصل بهم إلى سوق الربوع ببني رازح في خولان، واصطدم بفرقة من الأتراك فانتصر عليهم، وغنم بعض مغانم منهم؛ ويبدو أنّه كان يُمنّي نفسه بأن تُرحب به خولان وهمدان، وتنهض معه، وتدعوه إلى المقام بين ظهرانيهم؛ ولكنهم خذلوه فعاد مع الشيخ بن الحفارص إلى ذهبان[1].

وقد أشار إلى هذا في قصيدة له وردت في التحفة العنبرية، ممتدحًا ابن الحفارص، ومُشيدًا بوقفته معه،

= **وقـام فـي ذهـبـان بـالـشـآم في ضعَفٍ والخلق كالنيام.. (كذا)**
بينما يذهب النعمان في العقيق اليماني؛ مخطوط ـ ورقة 286 إلى أنه دعا في الحرجة من بلاد قحطان سنة 996هـ؛ وهي تأكيد لبيعته في صبيا كما يقول القبي في الجواهر اللطاف ـ مخطوط ـ ورقة 137.

(1) المصدر نفسه، ورقة 327ب، والنعمان: العقيق اليماني، ورقة 324.

ونصرته له، وكذا بشيخ بني بشر قحطان المسمى عاطف بن بشر[1]؛ ومنها:

وحثّوني على التعجيل حتى
توخيت انتهاضًا واهتماما
وقد عاهدتُ جيرانًا لدينا
فلبوني امتثالاً واختداما
كشهرانٍ وقحطانٍ ومنهم
رُفيدة فافهم القول افتهاما
هم الأنصار للماضين منّا
فوارس؛ لا يخافون الحساما

إلى أن يقول:

وإنّ كتيبةً كالليل حولي
كمثل السيل تحسبها سهاما
رجالٌ لا يخافون المنايا
كأنّ لهم بلقياها غراما

---

(1) عاطف بن بشر زعيم قبائل بني بشر من قحطان: لم أقف له على ذِكرٍ في المصادر المتاحة غير ما سبق. ويبدو أنّه زعيم قبيلة بني بشر، وبني بشر من قحطان، تقع منازلهم على ضفاف وادي راحة ووادي يعوظ، وهم عدد كبير من العشائر يقطنون السراة وتهامة. علي عسيري: عسير..، ص 95. وما تزال المشيخة قائمة في خلفه الذين يُعرفون الآن بـ«بن ثقفان»، وشيخُ شملهم الآن هو الشيخ رياض بن سعيد بن ثقفان، الذي أخبرني في اتصال هاتفي بأن «عاطف بن بشر» هو جدّه الثامن، وأنّ قصره ما يزال ماثلًا للعيان؛ كما أخبرني هذا الشيخ بأنه يملك وثائق، وقصائد شعبية لهذه الشخصية، وعنها.

ونـجـلُ حـفـارصٍ فـيـهـم زعـيـمٌ
أبـا مـرعـي ابـن مـانـعـهـا الـهُـمـامـا
هـو الـسـبّـاق فـي كـسـب الـمـعـالـي
إذا شـاهـدت سـبـقًـا وازدحـامـا
ومـن كـمـريـعٍ إن عُـدّ فـخـرٌ
لـقـد فـاق الـورى فـيـه غـلامـا
رضـيـعُ الـجـود وهـو لـه حـلـيـفٌ
ولـن يـرضـى افـتـراقًـا وافـتـطـامـا

كما أشاد في منظومته هذه بشيخِ بني بشر من قحطان «عاطف بن بشر»، ونصرته له فقال :

و«عـاطـفـهـا ابـن بـشـرٍ» فـهـو فـردٌ
مـجـلّـي الـضـيـم لا يـرضـى اغـتـمـامـا
فـلّـلـه الـمـشـايـخ مـن كـرامٍ
رَقَوْا في المجد والفخر السّناما السناما
إذا مـا الـحـربُ شـبّ لـهـا وقـودٌ
فـلا يـخـشـون حـرًّا واضـطـرامـا
ولـسـت تـرى لـهـم إلاّ وجـوهًـا
عـلـيـهـا الـبـشـر حـقًّـا وابـتـسـامـا

فأنت ترى في السياقات السابقة، وفي هذه الأبيات الشعريّة إشادةً بزعامات قبلية في قبائل شهران، وبني بشر قحطان كانت مشهورةً حينذاك ـ أي في خواتيم القرنين العاشر، ومستهل الحادي عشر الهجريين، وأنّه كانت لهم الصولة، والمكانة، وقيادة قبائلها وقتذاك؛ فيحفزك ويُغريك إلى أن تطلب من الذين ما زالوا يلوكون، ويُرددون، ويؤمنون بوجود الأمير الأموي

اليزيدي ذي النّسب القرشي الأثيل، والصولة والمكانة التي اكتسبها من أجداده منذُ جدّه الأول يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي، ومن بعده من أشراف القوم.

هذا الأمير الذي تسميه مراجعهم التي يتكؤون عليها ثامر بن عبد الله اليزيدي والذي حكم - بزعمهم - بين سنتي (989 - 998هـ) وما افتراه المفترون، واختلقه المختلقون، وزيّفه المزيفون من أنّ هذا الأمير اليزيدي الأموي المزعوم بلغ من المكانة والشهرة والقوة أن يخرج إلى المشاعر المقدّسة أميرًا على قافلة الحج العسيرية لينصب لواءه في تلك العرصات مع ألوية الدولة العثمانية، وغيرها من الزعامات في تلك المشاعر والأماكن المقدّسة أمام تلك المحافل، والجحافل بمافيها من علماء ومؤرخين لم يتوانوا عن رصد أمراء الحجّ، والزعامات، وكبار القوم الذين يحضرون هذا المحفل العظيم؛ فهل يا تُرى ما الذي جعلهم لا يُلمحون إليه، ولو إلماحا؟! هل ألجمتهم المهابة لهذا الأمير اليزيدي العسيري، أو عقدت ألسنتهم، وعقولهم الدهشة عندما رأوا عُدّته وعتاده، وكثرة عدد قافلته؟! فذهلوا بأجمعهم عن أن يُسجلوا في رواياتهم المكتوبة، أو المنقولة شفاهًا شيئًا عن هذا اليزيدي وقافلته ولو من طرفٍ قصيّ، ولماذا طووا دونه صفحاتهم فلا نجدُ له، ولإمارته على الحج العسيري ذكرًا إلّا في عقول مُزيفي مجموعة مؤلفي إمتاع السامر، وما يدور في فلكه؛ وكذا في كواليس التاريخ العسيري الذي لم يُكتب؛ علمًا أنّ قلّةً من عامّة السرويين من المائرين والمعتمرين، والطائفين بالبيت العتيق قد استلْفَتَت نظر ابن جبير، وغيره من المؤرخين، وزائري بيت الله الحرام من العلماء وغيرهم؟!؛ وأنّه عقب موته خلفه من بعده أخوه الأمير سالم بن

عبدالله الذي حكم بين (998 ـ 1005هـ)[1]. ثم لك أن تُرجع السؤال كرّتين: لماذا تجاوز الإمام عبد الله بن علي المؤيدي هذا الأمير المشهور، وذهب ينزلُ بساحة شيوخ القبائل؟ ولماذا قام أولئك المشائخ سواءٌ في بني مغيد أو شهران، أو قحطان بالتصرّف دون الرّجوع إلى هذا الأمير اليزيدي المزعوم، وتهميشه، وعدم الالتفات إليه؟ هل بلغت الذّلّةُ به إلى أن لا تحترمه قبائله، ولا تبالي به، ولا تقيم له وزنًا وهو بين ظهرانيهم، وأميرهم في قوافل الحج، وقائدهم العتيد؟! ثم لماذا توجّه هذا الإمام الزيدي بالمدح والإشادة للزعامات القبليُة في شهران وقحطان فقط؟!

وكيف ما كان الأمر فيظهر أنّه بعد سنوات من مكوث هذا الإمام في ضيافة شيخ عموم شهران «ابن الحفارص»، وبعد ملابسات، وحوادث أُشير إلى بعضها في المصادر؛ بارح هذا الإمام ذهبان، وآل الحفارص، وانتقل إلى الواديين فلبث فيها حتى قيام دعوة الإمام القاسم بن محمد سنة 1006هـ/ 1597م، أي ما يقرب من اثني عشر عامًا[2].

---

(1) أنظر على سبيل المثال: **تاريخ عسير رؤية تاريخية خلال خمسة قرون**.. ص29، وما بعدها.

(2) الشرفي، **اللآلىء المضيئة** ـ مخطوط مصور ـ ق3 ورقة 250/أ؛ ولم يُوضح سبب مفارقته ذهبان وانتقاله إلى الواديين. ويمكن افتراض أنّ الواديين كانت هي مقصده في أول خروجه من اليمن، وكان إصرار شيخ شهران على نزوله عنده في ذهبان سببًا مباشرًا لعدم الانتقال إلى الواديين قبل ذلك؛ ثم إنّ ذهبان مدينة داخلية وليست على طريق الحاج اليمني الذي كان يمرّ به حجاج اليمن الزيدية، وعندما رأى أنّ القاسم بن محمد قد دعا لنفسه بالإمامة =

ومن الغريب أنّ أحدًا ممن أرّخ لعسير سواءٌ تلك المؤلفات المزيّفة، أو من حذا حذوها، والتمس طريقها من الباحثين المعاصرين لم يأتِ على ذكرٍ لهذا الشيخ القبلي، والأغرب أنه حتىّ الذّاكرة الشعبية في عسير قد أغفلته تمامًا، ولا في أيّ رواية شفهيّة مما هو متداول عند الرّواة بزعمهم؛ بل وأغفلت هذه المدونات، والمؤلفات أيّ ذكرٍ لوصول عبدالله بن علي المؤيدي، وما دار من أحداث في حضور هذا الشيخ القبلي؛ ويظهرُ لي أنّ سبب التغافل عن ذكر هذا الشيخ، أو عدم المعرفةِ به، وبمشيخته على عموم قبائل شهران لا يخرج عن أمورٍ منها:

- ترسيخ بطلان ماشتملت عليه هذه المؤلفات والمدونات من تلفيقٍ لتاريخٍ مزعوم لإقليم لم يُعرف عن أهله أيّ نشاطٍ سياسي، أو حراكٍ فكريّ قبلَ القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي؛ بل كان حالُ أهله ـ كما سبق القول ـ هو الانغلاق على أنفسهم، فتجدُ كلّ قبيلة منكفئة على ذاتها، وهمّها الأكبر هو النّظر في معايشها، والانشغال بخصوصياتها، إلّا عندما تدفعهم الحاجة للمال إلى الاستجابة لمن يطلب عونهم في الصراعات العسكرية خارج حدود الإقليم ـ كما سبق ـ ولم يكن لهم احتفاءٌ بمن يمرُّ في

= دونه، وتبعه الكثير من الزيدية، وجد أنّ اللازم عليه الخروج إلى الواديين ليسهل مقابلة الحجاج الزيدية وبثّ دعوته فيهم؛ وكذلك فإنّ الإمام القاسم وهو خارج إلى الحج في هذه السنة (1006هـ) أرسل إليه يواعده على اللقاء به في الواديين عند أوبته من الحج؛ لذلك ترك الإمام عبد الله ذهبان، وانتقل إلى الواديين.. والله أعلم.

بلادهم، أو ينزل بهم من العلماء، وطلبة العلم، والشخصيّات المشهورة في الأقطار المجاورة؛ فلديهم ما يشغلهم عن التفرّغ للتحصيل، ومن ثمّ التدوين لماجَرَيَات الأمور، وأحداث إقليم عسير حتى ولو شفاهًا.

- لا يبعد أن تكون قد نشبت حربٌ بينه وقبيلةٍ أُخرى ـ كما هي عادة هذه القبائل ـ فخذلته قبائله، ولم تقم بنصره ومؤازرته، والوقوف معه، وتخلّت عنه، وأسلمته بذلك إلى أعدائه، وانتهت هذه الحرب إلى مقتل الشيخ مريّع بن ناصر بن الحفارص، وابنه وذوي قرابته[1].

- هناك إشارات مهمّة في بعض المصادر تذكر أنه وقع بين الأب وابنه خلاف وخصام نتيجة اختلاف الرأي بين الاثنين إذ كان الابن ـ المؤلف ـ يرى أن يخرج أباه ـ الإمام ـ إلى اليمن لدعوة خولان وباقي القبائل بنفسه، خاصة عندما تردّد إليه بعض زعاماتها يطلبون إليه الخروج معهم، وأن يكون بينهم حتى ينهض لمحاربة الأتراك، لكنّ الإمام لم يستصوب هذا الرأي نظرًا لسيطرة الأتراك على جميع بلاد اليمن الأعلى وتلك المعاقل في اليمن[2]؛ وهو ما جعل الابن كما يقول كلّ من الجرموزي، والشرفي: يُظهر غضبه من أبيه وينهض من «ذهبان» في خيلٍ ورجالٍ من شهران وقحطان لحرب الإمام القاسم الذي بدأ حينذاك في الدعوة لنفسه

---

(1) يبدو أنّ هذا كان أمرًا سائدًا في قبائل الإقليم عامة، وشهران خاصّة. أنظر توضيح ذلك عند علي عسيري، المرجع السابق، ص 114.

(2) **التحفة العنبرية**، ورقة 334.

بالإمامة، ولكنّ حملته فشلت فعاد إلى ذهبان، ثم التحق بوالده في الواديين بعد ذلك[1].

- بينما يرى بعضهم أنّ الابن قد تمرّد على أبيه بعد أن لمس تقاعسه عن الخروج إلى اليمن للدعوة بالإمامة، وخاصّة عندما بدأ الإمام القاسم بن محمد يدعو إلى نفسه؛ فكان أن خرج إلى قحطان فدعاهم إلى بيعته فأطاعوه بعد أن أوهمهم أنّه المهدي المنتظر، ثم أجابه أكثر أهل بلاد الشام، وخرجوا معه في خيل ورجِل لحرب القاسم بن محمد؛ وعندما علم القاسم بن محمد بهذا أرسل إلى وادعة في ظهران يدعوهم إلى طاعته، ومنابذة أبي علامة فأطاعوه، وانفضوا عن محمد أبي علامة[2]. ولك أن تصلَ بعد التأمّل في هذه الحيثيات إلى استنتاج يدور حول أنّ تحوّل قحطان عن أبي علامة إلى الإمام القاسم قد يعودُ إلى أمرين:

- أنّهم وجدوا في أبي علامة طالب منصب، وباحثًا عن زعامة، ورئاسة ليست له، وأنّ الإمام القاسم بن محمد شخصية اعتبارية، بايع لها أغلب الزيدية، وله مكانته، وحضوره بينهم، فانضموا إليه عندما بلغتهم دعوته.

- أو أنهم (ولعله الأقرب إلى الحقيقة) وجدوا في انضمامهم للإمام القاسم ما يُحقّقُ لهم من الحصول على الغنائم،

---

(1) مطهر الجرموزي، النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة، نشرته مخطوطًا مصورًا مكتبة اليمن الكبرى، النبذة المشيرة في جمل من عيون السيرة - نسخة مصورة - ص، 185، 198، واللآلىء المضيئة - مخطوط مصور - ق3 ورقة 250/أ.

(2) النبذة، ص185 - 186.

والأموال التي هي هدفهم وغايتهم من هذه التبعية المؤقتة، والطاعة الفضفاضة التي يُقدمونها بين آونةٍ وأُخرى كلّما حلّ بساحتهم واحدٌ من هؤلاء يخطب ودّهم، ويطلب عونهم؛ وفي الوقت نفسه رأوا أنّ أبا علامة لا مال لديه، ولا مكانة، ولا أتباع ففارقوه؛ والله أعلم.

- لا يبعدْ أيضًا أن تكون شهران التي ينتمي إليها هذا الشيخ القبلي الذي رحّب بالإمام الزيدي عبدالله المؤيدي وأسرته قد رفضت وجوده بينهم، وسعتْ إلى انتزاع المشيخة من ابن الحفارص لقيامه مع الإمام وتقديم المساعدة له، والخروج معه لحرب الأتراك، وهو ما رفضه الكثير من قبائل هذا الشيخ[1]، وقد يكون للتنافس، والتصارع على السلطة القبليّة، والعداوات والإحن بين رؤوس القبيلة في القرون المتأخرة ـ على وجه الخصوص ـ قد أدّى إلى اغتياله[2]، ومن ثم إلى تهميش هذه الشخصيّة، ووأدِ ذِكرها، وأخبارها، الأمر الذي أدّى إلى تناسيها عمدًا، وتغييب أخبارهم كليًّا من تاريخ عسير القَبَلي؛ على الرّغم

(1) يُستشفّ هذا من الرسالة التي أرسلها الإمام إلى العلامة أحمد بن علي المعافا في المخلاف السليماني، **التحفة العنبرية**، ورقة 322ب.

(2) يذكر هاشم النعمي ص 60 أن شيوخ القبائل في عسير قديمًا لا يقبلون التنازل عن مناصب المشيخة مهما بلغ تذمر القبيلة منهم، ولذلك قد تلجأ القبيلة إلى اغتياله لإزاحته عن المشيخة. أنظر علي عسيري، عسير من 1249 ـ 1289هـ دراسة تاريخية، ص 106، عبدالكريم آل طالع، قبيلة شهران بين الماضي والحاضر، بحوث تاريخية وجغرافية واجتماعية، د ت، د م، ص41.

من أنّ المؤرخ محمد أبو علامة المؤيدي قد جهر بذكرهم، ونوّه بمكانتهم، وزعامتهم لقبيلة شهران، بل ذكر أنّهم كانوا في مركز شيوخ مشايخ شهران في سنة 994هـ/ 1585م؛ وأنّ لهم مكانتهم ووجاهتهم في عموم قبائل عسير السراة وقتذاك؛ وربما يعود هذا أيضًا إلى التنافس على الشهرة، والصدارة في المشيخة بين زعامات القبائل التي تولّت مشيخة هذه القبيلة العريضة بعد آل الحفارص[1]، وغيرها ومن ثمّ لم يكن أمام الإمام عبدالله بن علي المؤيدي، وأسرته إلّا الخروج من ذهبان إلى الواديين، ومنها بعد فترةٍ من الزمن إلى صعدة؛ على الرّغم من أنّ بعض المصادر اليمنيّة ذكرت أنّ السبب هو نشوب خلاف بين الإمام وابنه محمد المشهور بأبي علامة أدّى إلى أن يُفارق الابنُ أباه، ويخرج من ذهبان، ومن ثمّ خرج الأبّ منها أيضًا إلى الواديين[2]؛ ولذلك لم يهتم أبو علامة بتتبع حال الشيخ ابن الحفارص؛ والله أعلم.

---

(1) لم ترد الإشارة إليه، أو إلى آل الحفارص البتّة في كل ما كتب عن شهران في العصر الحاضر، ولم يُذكروهم ضمن مشايخ شهران. أنظر على سبيل المثال: عبدالكريم عائض آل طالع، **قبيلة شهران بين الماضي والحاضر**، ص 36، وما بعدها، علي بن سعد آل زحيفة الشهراني، **التاريخ الثقافي لقبيلة شهران العريضة من العصر الأموي إلى قيام الدولة السعودية**، رسالة علمية مقدمة إلى أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ماليا، كوالا لمبور، 2016م، ص227، وما بعدها.

(2) ذكر ذلك أكثر من مؤرخ منهم: الجرموزي: **النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة**، ص 186م؛ كما ذكرها الشرفي في **اللآلىء المضيئة**، ق3، ورقة 249؛ النعمان: **العقيق** =

وإذا خرجنا من القرن العاشر الهجري إلى مصادر القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي؛ فسنجد أمامنا نصوصًا مصدريةً في غاية الوضوح والوثاقة مما ورد في المصادر اليمنية، وفي غيرها تدلُّ بما لا يدع مجالًا لقول متقوّل أنّ أحوال بلاد عسير والسراة خلال هذا القرن خالية من أية سلطة حاكمة تتولى إدارة شؤونها، أو أُمراءَ وسلاطين أُمويين يزيديين يحكمونها، ويُديرونها خلا زعاماتها القبلية القائمة كلّ في نطاقها الحدودي المتعارف عليه بين قبيلة وأخرى، بل إنّ في بعض هذه النّصوص ما يدلّ على أنّ الأمن كان مفقودًا، والصراعُ الداخلي بين بعض القبائل والأخرى كان محتدمًا، وحالة الفوضى، والنهب والسلب كانت سائدة في عموم الإقليم. ومن هذه النصوص على سبيل التمثيل لا الحصر:

- ما ورد عند يحيى بن الحسين (ت1099هـ/ 1687م) وهو ـ مؤرخٌ معاصر، وثقة ـ عند الكلام عن حوادث سنة 1008هـ/ 1599م) أنّ جماعة من بلاد شهران التي تقع بين الحرجة وبلاد بيشة وفدوا إلى الإمام القاسم بن محمد، وطلبوا إليه أن يُرسل معهم من يقبض زكواتهم، فأرسل معهم سيدًا من بني الكبسي[1]. ومن خلال هذا النصّ،

= **اليماني**، ورقة 383 ـ 384؛ الجنداري، **الجامع الوجيز**، ورقة 142.. وغيرها.

(1) في كتابه بهجة الزمن في تاريخ اليمن، حققته: أمة الغفور الأمير بمسمى؛ الأوضاع السياسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية (صنعاء، 1429هـ/ 2008م) 2/ 748، وأخبرني بعضهم أنّه اطلع على =

وما ينبني عليه نقول: لو كانت هناك سلطة سياسية لما احتاج هؤلاء إلى أن يذهبوا إلى سلطةٍ أخرى لتُشرف على عملٍ هو من أخصّ ما يمكن أن تقوم به أية سلطةٍ ذاتُ كيانٍ سياسيٍّ قائم.

- وفي نصٍّ آخر أشار الجرموزي أيضًا، وضمن حوادث سنة 1040هـ/ 1630م إلى أنّ الشريف حسين بن مغامس أصبح واليًا على بيشة وأعمالها، كما فرض ضريبة على سالكي طريق الحج السروي الذي يبدأ من اليمن وينتهي إلى بيشة مرورًا ببلاد قحطان وشهران في عسير والسراة[1]، والحالُ أيضًا في سنة 1097هـ/ 1685م، فقد ذكر يحيى بن الحسين أن سلطة، وحكم الشريف أحمد بن زيد شريف مكة قد امتد على بلاد نجد اليمن إلى قريب نجران، والحرجة..[2]، وأيضًا في سنة 1098هـ/ 1686م خرج هذا الشريف حتى نزل بلاد عنز بن وائل، لأنّهم قطعوا الطرق، فأخضعهم، وأمّن الطرق، واستولى على كثيرٍ من مواشيهم عقوبةً لهم، كما قام بالقبض على جماعة من مشايخهم، وحملهم معه، كما احتمل ما أخذه من مواشيهم وسار بهم إلى مكة

= وثيقة تحوي تولية هذا الكبسي الفصل في الخصومات في تلك الجهة من شهران. والله أعلم.

(1) الجرموزي: **الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة** ـ سيرة الإمام المؤيد محمد بن القاسم ـ حققته: أمة الملك الثور، بمسمى: بناء الدولة القاسمية في اليمن في عهد الإمام المؤيد محمد بن القاسم، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية (صنعاء، 1429هـ/ 2008م)، 3/ 892.

(2) **بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، 3/ 1300.

المكرمة[1]؛ ولسائلٍ أن يسأل : أين ذهب الأمراء علي بن عبدالله، وابنه عبد الرحمن بن علي، والحفيد يحيى بن عبد الرحمن الأمويون اليزيديون[2]؟ أين الحميّة الأموية التي ترى أعداءهم من أشراف مكة العلويين يجوبون عسير طولاً وعرضًا، ويستولون على أموال رعاياهم، ومواشيهم وينتهبونها، ويقبضون على مشايخ قبائلهم، ويسوقونهم أسرى إلى مكة المكرّمة؟ هل حال دون مقاومتهم، وصدّ عدوانهم الخور والجبن؟ أم هو الضعف وروح الهزيمة؟ أم إنّ حقيقة الحال الواضحة الجليّة هي أنّ هؤلاء الأمراء اليزيديين أشباحٌ، وخيالاتٌ في عقولٍ ران عليها الجهل، وغشيتها السذاجة.

وإذا عُدنا إلى السياق نفسه، وفي السنة نفسها خرج الشريف أحمد بن غالب بأمر الشريف أحمد بن زيد من بيشة إلى نواحي ذهبان، وأطراف بلاد قحطان للتصدي للأتراك خشيةً من الوصول إلى هذه البلاد، وبسط نفوذهم عليها[3].

وهذه النصوص لمؤلفين معاصرين يتضح منها أن سلطة أشراف مكة كانت تمتدّ في بعض الفترات الزمنيّة من هذا القرن على أجزاء من إقليم عسير، وتخرجُ جيوشهم إليها بين آونةٍ وأُخرى، ولا يجدون أمامهم إلّا القبائل وزعاماتها.

وفي السياق نفسه يردُ نصٌ آخر عند يحيى بن الحسين أيضًا

---

(1) المصدر نفسه، 3/ 1355.

(2) هؤلاء الأمراء حكموا ـ كما تزعم تلك المزيفات، المصنوعات ـ في الفترة من (1025هـ إلى نهاية 1122هـ).

(3) المصدر نفسه، 3/ 1373، 1378.

في حوادث سنة (1094هـ/ 1682م) مهمٌ جدًّا، ودلالاته واضحةً وضوح الشمسِ لكلّ ذي بصرٍ وبصيرة من الباحثين المنصفين؛ حيث يقول يحيى بن الحسين في ثنايا حديثه عن عزم قافلة من حجاج اليمن الخروج إلى مكة المكرمة عن طريق السراة في هذه السنة، ناقلًا عن عمن شاهدَ، وحضرَ، وعاين:

«**وأخبرَ الُحجّاج من بني عضيّة - قبيلٌ من خولان العالية[1] الّذين جاءوا بطريق السراة أنهم لمّا وصلوا قرية مضفاة[2] وجدوا جماعةً على أبواب قريتهم مقتولين، وذلك لغزوةٍ غزتهم من قريةٍ أخرى بينهم وبينهم خصومة وفتنة لا تزال ثائرة لعدم الدولة عليهم، لأنّ هذه البلاد بين دولة صاحب اليمن، والشريف صاحب مكة، ما بين الحرجة وبين تبالة، وبين هذين المحلّين نحو خمسة أيام، وهي البلاد المقابلة لبلاد الحرامية على طريق تهامة[3]، ومن جُملتها وادي ذهبان شهران، فهذه البلاد لا دولة عليها لانقطاعها وانفصالها بين الدولتين دولة صاحب اليمن وصاحب الشام..**» . . الخ[4].

بينما تزعم تلك المؤلفات أنّه كانت هناك أُمراء، وإمارة قائمة

---

(1) أنظر المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، الجيل الجديد، صنعاء 2011م 2/ 1272.

(2) مضفاة مسمى لقريتين من قرى بللسمر وباللحمر. حمد الجاسر، المعجم، 2/ 1182، ويذكر الحربي في معجمه 3/ 1514: أنّ مضفاة قرية من قرى بللسمر تقع جنوب اثنين باللسمر بمسافة 6 أكيال.

(3) ويقصد بلاد حلي بن يعقوب، وأمرائها من بني حرام.

(4) المصدر السابق، 3/ 1214.

لليزيديين في هذه السنين التي وردت في النصوص السابقة في عموم بلاد عسير[1].

وما زلنا مع المؤرخ الثقة يحيى بن الحسين بن القاسم وهو يسوقُ لنا نصًّا مهمًا وقيّمًا ينفي بما لا يدعُ مجالًا للشكّ ذلك الإفك الأكبر من التحريف، والتزييف، والاصطناع، والاختلاق، والتزوير في تلك المدونات، والمؤلفات العسيرية الزائفة، وعلى أنّ حقيقة الواقع وفق المصادر الموثوقة هو عدم وجود سلطة سياسية في هذه المنطقة على مرور الأزمان، وإنّما هي سلطة قبلية لا تتجاوز كلّ قبيلة القبيلة الأخرى في نطاق أرضها وحدود أملاكها، يتضح هذا من قوله[2]:

«وفي هذه الأيام جاء خبرٌ أنّ عَبيدة (قحطان) بنواحي بلاد شام صعدة تحاربوا هم وقبائل بلاد الدرب، ما بين الحرجة وبين ذهبان شهران، فهزمَت عبيدة أهل الدرب، وخرّبوا الدرب وهذه القبائل بين الدولتين دولة صاحب اليمن وصاحب مكة، والسلطان ابن عثمان، لا دولة عليهم على مرور الزمان».

ويعود يحيى بن الحسين فيُورد لنا نصًّا مهمًا فحواه أنّ سلطة شريف مكة خلال أواخر هذا القرن (11هـ)، وبداية القرن (12هـ) كانت تمتدّ في كثيرٍ من الأوقات إلى ذهبان شهران،

---

(1) سبق أن ذكرتُ أنّ مؤلفاتهم المزيفة تذكر أنّ عسير كانت تُحكم من مجموعة من الأمراء اليزيديين، الذين يتوارثون السلطة والحكم في هذه الفترة بدءًا من الأمير علي بن عبد الله بن علي اليزيدي الأموي، وحكم بين (1025هـ ـ 1058هـ/ 1616 ـ 1648م) الأمير يحيى بن عبد الرحمن بن علي اليزيدي، ومحمد بن أحمد بن يحيى (1090هـ ـ 1165هـ/ 1679 ـ 1710م).

(2) المصدر نفسه، 3/ 1254.

وتتجاوزها إلى بلاد الحرجة، وما والاها؛ وأنّ سُلطانه، ويده تصلُ إلى هذه البلاد، وأنّه كان يضطلع بمسؤولية توفير الأمنِ على طريق الحاج اليمني خلال هذه البلاد، وعندما تقوم هذه القبائل التي لا يزعهم قرآنٌ، ولا سلطان بقطع الطريق، أو عصيان أوامره لهم بإرسال الحملات لإخضاعها لحكمه، وإلزامها بطاعته، ويجعل عليها من يجمع له زكاتهم، لكن يبدو أنّ صولة هذه القبائل وتمردها على السلطة تؤدي إلى صدامات وخسائر بشرية بين الجانبين. قال يحيى بن الحسين: «**وفي سنة 1099هـ/ 1687م حصل قبل الحج في ذهبان شهران حربٌ من القبائل حولي بيشة، وبين أصحاب الشريف الّذي خرج إلى جهاتهم، فراح من أصحاب الشريف جماعة؛ وفيهم الشريف عبدالله بن بشر فجهز الشريف عساكره عليهم، فقتلوا منهم طائفة وانتهبوهم، وبلغت يدُ الشريف - أحمد بن زيد - إلى ذهبان، والحرجة، وحدود عبيدة قحطان زيادة على بلاد بيشة**»[1].

وإذا انتقلنا إلى القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي مُتّبعين التسلسل الزمني للقرون قرنًا بعد آخر فسنجد العديد من النصوص التي تصبُّ فيما نهدفُ إليه في هذا البحث من خلوّ بلاد عسير من أيّ شكلٍ من أشكال الحياة السياسية، والسُّلطة الحاكمة، سواءٌ من آل يزيد الأمويين، أو غيرهم قبل دخولها تحت نفوذ وحكم الدولة السعودية في مطلع القرن الثالث عشر/ التاسع عشر الميلادي؛ ولأنّ النصوص المصدريّة كثيرة فسنقتصر على بعضها مما فيه دلالة واضحة على مرادنا؛ فمن هذه النّصوص ما ورد في أحداث سنة 1165هـ/ 1751م،

(1) **بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، 3/ 1403.

عندما ظهر في بعض بلاد اليمن رجلٌ مجهول يُعرفُ بأبي علامة[1] ادّعى أنّه المهدي، ولبّس على العامّة بطلاسم، وأعمال سحريّة، واستطاع أن يجمع كثيرًا من الناس حوله، ويستولي على كثيرٍ من البلاد اليمانيّة والشامية، لكنّ أمره تضعضع بعد أن اصطدم بجيش الشريف محمد بن أحمد الخيراتي[2] أمير المخلاف السليماني، فاضطرّ أبو علامة إلى مراسلة قحطان، والتلبيس عليهم، ومخادعتهم، وإغرائهم حتى خرج إليه منهم جمعٌ كبير؛ قال البهكلي، والجرافي:

«**فوصلت المحاطّ الكثيرة التي قلّ أن يُعهد مثلها بالمخلاف السليماني من قبائل قحطان من عسير بسبب استدعاء أبي علامة لهم لنصرته، وموّه عليهم من إجابة دعوته، لأنّه أرسل إليهم الرايات والمجاذيب، فنهض إليه منهم ما ينيفُ على سبعة آلاف مقاتل مشاة، وعلى كلّ نجيب**. .»[3]. لكنّ هذه الآلاف من قحطان عندما وصلوا إليه لم يجدوا ما وعدهم به من الأموال، فثاروا عليه، وأخرجوه، وقتله رجلٌ من مشايخهم يسمى ابن حرملة، وحمل رأسه إلى إمام اليمن

(1) ذكر الجرافي في المقتطف من تاريخ اليمن، مؤسسة دار الكتاب الحديث، ط2، بيروت 1984م، ص196، وعبدالرحمن البهكلي في: خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد، تحقيق ميشيل توشيرير، وعدنان درويش، دمشق، 2000م ص208، أنّ اسمه أحمد الحسني، وأنّ أصله من المغرب، وأنّه كان في أول أمره درويشًا سيّاحًا، ثم ادّعى أنه المهدي المنتظر، ويعمل الطلاسم، فاغترّت به جموع من العامّة. . الخ.

(2) البهكلي، خلاصة العسجد ص210.

(3) البهكلي، المصدر نفسه، ص213؛ والجرافي، المقتطف، ص196.

المهدي صاحب المواهب، فأجزل له الأمام المكافأة، ورتّب له مقررًا سنويًا[1]؛ ويظهر لي أنّ هذا التصرف من الشيخ القبلي لم يكن تبعيّةً، ولا خضوعًا لسلطة الإمام بقدر ما كان بحثًا عن المكافأة، حتى لا يعودوا من خروجهم بخفي حنين، ولأنّ (أبو علامة) كان قد دوّخ الامام الزيدي، وهزم جيوشه، واستولى بمن خرج معه على كثير من بلاده.

وفي سنة 1184هـ/ 1770م عندما عاثت يامُ فسادًا في تهامة استعان بهم ـ قحطان ـ الأمير الشريف محمد بن أحمد الخيراتي فخرج ما يُقارب الألف مقاتل من قبائل الشام: وادعة، وسنحان، وعبيدة، واشتركوا معه في وقعة المحصام[2]، وفي هذا دلالة على أنّهم لم يكونوا يدينون بولاء لسلطة محليّة عدا سلطة مشايخهم، ولذلك كانوا أمام الحاجة إلى المال لا يمتنعون عن من يطلب معونتهم العسكرية.

وحسبك أمام هذا النصوص المصدرية أن تجد في المدونات الزائفة، ومن اغترّ بها من الباحثين المعاصرين، الذين انساقوا خلف نصوصها المختلَقَة بقصد ترسيخ، وبثّ مزاعم، وأوهام أنّ بلاد عسيرَ كافة كان يحكمها في هذا الوقت (1122هـ ـ 1198هـ/ 1710 ـ 1783م) الأمير محمد بن أحمد بن يحيى، وابنه من بعده مرعي بن محمد اليزيديان الأمويّان اللذان يمتدُّ نسبهما إلى يزيد بن معاوية، وأنهما خلفٌ لسلفٍ من أُمراء توارثوا إمارة يزيدية أُمويّة حكمت عسير أكثر من ألف سنة حتى سقط آخر أُمرائها محمد بن أحمد اليزيدي قتيلًا وهو يدفعُ صولة

(1) المصدران السابقان، والصفحة نفسها.

(2) البهكلي، المصدر السابق، ص 300، 356، 363.

جيش الدولة السعودية الغازية لعسير. .[1] إلى آخر تلك الخزعبلات التي ليس مصدر صحيح، وموثوق.

ويمكن هنا العودة إلى طرح تساؤل يمكن أن يُجيب عنه عاميٌّ وليسَ شخصًا يُعدُّ في سياق الباحثين! وهو هل يمكن لهذه القبائل العسيرية أن تخرجَ على طاعة أميرها، وتنخدعَ بدعوة عاميّ يدّعي الخزعبلات؟ وهل يمكن أن تترك هذه الجحافل البالغة الألوف أميرها اليزيدي يُحارب وحده جيش الدولة السعودية الذي يسعى لاحتلالِ أراضيهم، وبلادهم، وتذهب لتقديم المساعدة الحربية لإمامِ اليمن تارةً، ولأمير المخلاف السليماني الشريف الخيراتي للتصدّي لأعدائهم؟!! ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [صٓ: 5].

ومن أعجب العجب أيضًا أن تجد بعض الباحثين المُحدَثين يذهبون إلى ترديد وتأكيد وجود هاتين الشخصيتين اليزيديتين،

---

(1) كل ما ذكر سابقًا من المؤلفات الزائفة المزوّرة، أو تلك التي نقلت عنها. أنظر على سبيل المثال: امتاع السامر، ط البابي الحلبي، ص 67، حاشية (1)، عسير في مذكرات سليمان الكمالي، المنسوب لأحمد بن حسن النعمي، ص133؛ تاريخ عسير في رسالة زين العابدين الحفظي، ص35؛ عبدالله بن حميد، دور أمراء عسير في نشر الدعوة السلفية، (**مجلة العرب**، مج9، ج11، 12، رجب ـ جمادى الآخرة 1394هـ) ص863 ـ 866. . ومن الغرائب أنّه اعتمد على ورقة ذات لغة ركيكة، وأسلوب ضعيف أطلعه ـ كما يقول ـ عليها بعضهم في أولها نسبٌ يصلُ بعائض بن مرعي إلى يزيد بن معاوية، لا يبعد أن تكون مدسوسة مثلها مثل غيرها من المدسوسات المزيفات؛ ومقدمة تحقيقه للكتاب المنحول لعاكش المعنون بـ«الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عائض»، دار الفكر، دمشق.

وكونهما أميرين يحكمان عموم عسير في هذه الفترة، وأنّ الأمير محمد بن أحمد اليزيدي قد قاد الحرب ضد جيش الدولة السعودية الغازية لعسير، وأنّه سقط قتيلًا في أرض المعركة ضد جيش هذه الدولة الذي يقوده ابنا نقطة محمد وعبد الوهاب سنة 1215هـ[1]؛ وهذا كلّه مُختلق، ولا يوجد عليه نصٌّ صريحٌ صحيح. وبين أيدينا نصٌّ صريحٌ لأحد علماء آل الحفظي ورد في مجموعٍ له يسمى تاريخ الملك العسيري؛ يُؤرخ لهذه الفترة مبتدئًا من سنة 1213هـ، يذكر وصول جيش خبر الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى جهتهم، ويذكر أنّ الأخوين أبو نقطة محمد، وأخوه عبد الوهاب ابنا عامر قد خرجا إلى الدرعية لمبايعة الإمام عبد العزيز ولاستدعائه ـ على ما يبدو ـ إلى ضم هذا الإقليم إلى دولته.. ولم يأتِ لا من قريب ولا من بعيد لا على محمد بن أحمد اليزيدي، ولا على ابنه مرعي، ومن ثم لم يذكر شيئًا عن كون هذه الشخصية موجودة بله أن تكون لها إمارة في عسير، كما لم يأتِ على أيّ شيءٍ عن مقتله..الخ. فكيف تهيأ لمن اختلق، وركّب هذه الأحداث والشخصيات أن يزرع

---

(1) أنظر على سبيل المثال: علي عسيري، عسير من 1249هـ ـ 1289هـ/ 1833م ـ 1872م، ص159، محمود شاكر، عسير، ص149، لكنه يذكر مقتله سنة 1216هـ، وما بعدها، آل زلفة، دراسات في تاريخ عسير الحديث، ص18، آل فايع، دور آل المتحمي، ص39، آل قطب، الأمراء اليزيديون، الصفحات: 126، 99، 128، 177، وما قبلها، وما بعدها؛ وقد ذهب يُركّب، ويصنعُ عناوين موهمه من مثل «إمارة آل يزيد الأولى»، و«أثر الحركة الوهابية في إسقاط إمارة آل يزيد الأولى»..الى آخر ما ورد.

هذا في تلك المدونات الزائفة، ثم كيف اغترّ هؤلاء الباحثون، وانخدعوا بترهات كهذه كان المتسبب فيها شخصٌ لا يعلمُ شيئًا عن تاريخ عسير، ولا عن مصادره، وإنّما ادعى دعوةً، وافترى فريةً، واختلقَ تدوينةً نسبها لشخصٍ مغمور غير معروف من آل الحفظي، وزرعها في كتابه شبه جزيرة العرب «عسير»، وتبرّأ منها بعد ذلك؛ لكنّه لم يمنع بعضهم من التشبث بها، والاتكاء عليها، وأخذها كمسلمّة رغم عوارها، وزيفها؛ ونحنُ هنا أمام نصٍّ مصدريّ موثوق لأحد أعلام آل الحفظي ورد في مجموعٍ له لم يتطرّق فيه إلى هذه المعلومة الزائفة، ولا إلى أيّ خبرٍ يتصل بها على الرّغم من أنّه قد بدأ تاريخه في زمنٍ سابق يعود إلى سنة 1213هـ. وإليك النص الواضح الصريح الجليّ حيث يقول العلامة عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الحفظي في مجموعه المسمى «تاريخ الملك العسيري»، فنجده يبدأ بسنة 1213هـ، ومفتتحًا بخبر ارتحال الأخوين محمد وعبد الوهاب بن عامر أبو نقطة إلى الدرعية، ومقابلة الإمام عبد العزيز بن محمد، وخروج جيش معهما لبسط نفوذ الدولة على عسير، وضمّها إليه، وإقرار أحكام الشريعة الإسلامية فيها ببث الدعوة الإصلاحية في بيئتها، ومجتمعها؛ ولم يتطرّق البتة لأيّ خبرٍ قبل هذه السنة، فيقول بعد الاستفتاح ما نصّه: «.. أما بعد فهذا تاريخ الملك العسيري وذِكر ما في ضمنه من الحوادث والمهمات، لمّا طرق بجهتنا خبر الإمام عبد العزيز بن محمد هاجر إليه أبو نقطة محمد بن عامر، وأخوه عبد الوهاب وذلك في سنة 1213، فجهز عبدالعزيز إلى جهتنا جيشًا عظيمًا حطوا في حجلا، ودخلوا المغوث، ومقدمهم ربيع بن زيد أمير وادي الدواسر وتبعه سيف من أهل بيشة وذلك في رجب من سنة

1215، وعاهد أهل السراة وتبعه أهل تهامة ونواحي بلاد عسير في ذلك الشهر وحلقوا رؤوسهم. .الخ»[1]؛ فها أنت ترى أنّه لم يذكر أيّ شيءٍ عمّا تم افتراؤه، وتركيبه من أحداث، وشخوص يزيديين بزعمهم، ولم يذكر حربًا بين الأخوين ابني نقطة وهذا الشخص اليزيدي المجهول؛ والأمرُ الآخر حتى ذلك المُؤلَّف الذي يدور في فلك تلك المدونات لم يُشر بتاتًا إلى هذا الأمير اليزيدي، ولا إلى حربه للسعوديين ومقتله على أيديهم؛ فابن عبد الهادي لم يذكر في تاريخه المسمى: الظل الممدود إلّا أربع سنوات فقط قبيل وصول الجيش السعودي، ودخول أبها سنة 1215هـ؛ ولم يأتِ فيها على أيّ أميرٍ يزيدي، كما لم يذكر شيئًا من حاثة قتله على يد الجيش السعودي الفاتح. فكيف يمكن لمن ردّد خبر هذا الأمير المزعوم أن يؤمن بوجوده، ويزبره في كتابه على الرّغم من عدم ذكره حتى في مدونةٍ لا تطمئنّ النفس إليها كثيرًا والله المستعان.

وأمّا إذا أتينا إلى بعض رسائل، ومؤلفات أبرز علماء آل الحفظي، وأشهرهم في العلم، والمكانة والفضل وهو الفقيه العلامة أحمد بن عبدالقادر الحفظي[2] فسنجدها تطفحُ بما يدلّ

---

(1) مجموع في تاريخ عسير (تاريخ الملك العسيري)، مخطوط أصله في مكتبة علي الحسن الحفظي، الورقة 1.

(2) هو: العلامة أحمد بن عبد القادر بن بكري بن محمد بن جغثم العجيلي (1145هـ - 1233هـ) ينتهي نسبه إلى الفقيه أحمد بن موسى عجيل صاحب بيت الفقيه في تهامة اليمن؛ ولد في بلدة رجال، وتلقى العلم على يدي والده، وأعمامه، ثم خرج إلى المخلاف السليماني، وأخذ عن بعض علمائه، ثم ارتحل في طلب العلم إلى زبيد وغيرها؛ ويعدُّ أبرز علماء، وشخصيّات =

على عدم وجود إمارة، أو سلطة سياسية حاكمة في هذا الإقليم لا من اليزيديين، ولا من غيرهم، قبيل وصول نفوذ الدولة السعودية، والدعوة الإصلاحية إلى عسير سنة 1215هـ/ 1800م[1].

ولعلّي أقتصر على بضعة أمثلة مستقاة من رسائله إلى بعض شيوخه من آل الأهدل في اليمن الأسفل، وإلى غيرهم من علماء الزيدية، تنصُّ ألفاظها على عدم وجود أيّ سلطةٍ غير سلطة القبائل، ولا أيّ نظام حكم غير أعراف هذه القبائل خلال القرن الثاني عشر، وبداية القرن الثالث عشر الهجريين/ الثامن عشر الميلادي؛ بل تدلّ رسائله هذه على عدم وجود شيخٍ قبليٍّ له سلطة وازعة، بل هم في الغالب تحت سلطة مجموعة من العرائف؛ فيذكر العلامة الحفظي في سؤالٍ من هذه الأسئلة لجوءه عند القيام بالحكم فيما يشجر بين القبائل في جهته إلى الأعراف القبليّة السائدة لدى هذه القبائل منذُ قديم الزمان، وأنّهم يرفضون النزوع إلى الحكم الشرعي، ثمّ يُعلّل الحفظي لشيخه نزولهُ على إرادة القبائل في الأخذ بالعرف القائم على

= البيت الحفظي؛ أنظر: أحمد بن محمد الحفظي، **عبق الراحلين**، تراجم موسعة لبعض علماء آل الحفظي، دار الطرفين، الطائف، 1445هـ، ص21، وما بعدها.

(1) يذهب عددٌ من المؤرخين المعاصرين إلى حقيقة أن بلاد عسير قبيل وصول آل سعود، ودخولها تحت سلطتهم محكومة برؤسائها وشيوخها من القبائل المحليين، وأنهم قبائل متنافرة لا يربطها رابط، ولا يجمعها غاية. أنظر على سبيل المثال: محمد عمر رفيع، **في ربوع عسير (ذكريات وتاريخ)**، دار العهد الجديد، القاهرة 1954م ص177.

عموم الصُّلح وما يتعلّق به، دون الركون إلى حكم الشرع، لأنّهم فوضى لا سراة لهم، ولأنّه لو أخذ بالحكم الشرعي لحدثت مفاسد كُبرى قد تؤدي إلى سفك الدماء بينهم، ويردُّ هذا إلى: «**خلوّ الجهة عن ولي الأمر**...»[1]؛ ويتكرّر تنويه الحفظي بخلوّ هذه البلاد من ولي الأمر، والسلطة الحاكمة التي تُقيم الحدود، وتُلزم القبائل بالخضوع، والانقياد لها؛ من خلال ختم أسئلته إلى شيوخه بجملته التي ترد دائمًا في آخر كلّ سؤالٍ من أسئلته هذه، وهي قوله: « **مع ملاحظة خلوّ الجهة عن ولي الأمر، واستمرارهم على عُرف القبائل المعروف**..»[2]، وفي رسالةٍ له تتضمنُ أسئلةً وجّهها إلى القاضي العلامة الزيدي يحيى بن صالح السحولي[3] يؤكد هذا الحال الذي يعيشه الإقليم من عدم وجود سلطة سياسية حاكمة فيقول: «..**الحمد لله أهل بلادنا وأهل البوادي يحدثُ فيهم ما يُوجبُ الحدّ والتعزير، والبلدُ خالية عن الولاة المنفذين للأحكام الشرعية؛ ومن المعلوم أنّه لا يتولّى الحدود إلاّ الإمام، أو نائبه. والحال أنّ عُرّاف أهل الجهة يُغرّمون (القاذف) بالمال؛ فهل يجوزُ التعزير بالمال بدلاً عن الحدّ دفعًا لمفسدة القتل...فإن قلتم بالجواز فإلى أين يُصرف هذا المال المغروم فليس هناك بيت**

(1) مسائل مفيدة وأبحاث عديدة وصلت من أحمد بن عبد القادر بن بكري العجيلي، مخطوط في 64 ورقة ضمن مجموع، الكتاب الثاني عشر، أصله في مكتبة آل يحيى برقم 14 فقه، الأحقاف، تريم، الورقة 63.

(2) المصدر نفسه، الورقات: 187أ، 187ب.

(3) توفي في شهررَجَب سنة 1209هـ. وله ترجمة مفصلة عند الشوكاني في البدر الطالع، 2/ 33، وما بعدها.

مال..كذلك إذا نهب قومٌ ظلمة متعدون في السبل مالاً لمسلمين ولم يُعرف مالكه بعينه فهل لآحاد الناس أن يفدي المال المنهوب بمالٍ دون قيمته...، كذلك ما قولكم في ولاية الفاسق للنكاح في هذا الزمان الذي عمّ فيه الفسق، وعُدم عدالة الشهود؟ . . الخ»[1].

وفي سؤالٍ آخر يقول لشيخه الأهدل : «**ما قولكم عن صبيّ ادّعى على صبيٍّ مثله بأنّه قد لزم برجله وسحبه في الدرجة الفلانيّة فوقع على ظهره.. وشاعت هذه الدعوى، ومات الصبيّ من ذلك الأثر، فقام وليّهُ مُدّعيًا على ولي الآخر، وطلب الثأر، والحالُ أنّهم قبائل فوضى من جهة، وخالية عن ولي الأمر، وإنّما يرجعون فيما شجر بينهم إلى أعرافٍ لهم، وحصل من ذلك الهرج والمرج**. . . »؛ ويسأل الحفظي شيخه عن هذه الدّعوى هل هي باطلة من أصلها، لا سماع لها شرعًا، أو هي من المتشابهات. . . الخ؛ وقد أجابه شيخه، وذكر من ضمن جوابه أنّ على عرائف القبائل نصبَ حاكم شرعي يُنفذُ الأحكام الشرعيّة. .[2]؛ وفي سؤالٍ آخر إلى شيخه هذا يذكر الحفظي أنّ حادثةً وقعت بين صِبيانٍ يلعبون في ساحة القرية فرجم أحدهما الآخر ففقأ عينه، وأنكر وليّ الجاني الجناية، وحصل شجارٌ وفساد ذات البين، فتوسط الحفظي بينهم لوأد الفتنة لأنّها لو تُركت لتطور الأمرُ إلى مالا تُحمد عقباه. . . ويُكرّر الحفظي سبب تلك الفوضى في ختام رسالته بقوله: «**ولو**

---

(1) أصلها في مكتبة الحفظي السابقة.

(2) مسائل مفيدة وأبحاث عديدة وصلت من أحمد بن عبد القادر بن بكري العجيلي ورقة 184 أ من المجموع.

أُهملَ حصل من المفاسد ما لا يخفى على من عرفَ من أحوال الجهة الخالية عن ولي الأمر. . .» [1].

كما أرسل العلامة محمد بن أحمد الحفظي بن عبدالقادر (1176 ـ 1237هـ) بأسئلةٍ إلى العلامة الشوكاني، ولعلّه فعل ذلك بإيعازٍ من أبيه العلامة الحفظي؛ وقد بدأها بقوله في السؤال الأول: «**عن عوائد في بعض الجهات الخالية عن سلطنة الولاة، وهي أنّ أهل كلّ قرية، أو قبيلة يتواطئون على توظيف قواعد تنتظمُ بها لهمُ الحال، ويلمّون بها شعث تلك المحال**. . الخ» [2].

وفي مضامين هذه الأسئلة ما يدلُّ دلالةً قطعيةً على أنّ عسيرَ قبل وصول الدولة السعودية الأولى لم يكن بها حاكمٌ، ولا أمير؛ ولا أيّ نوعٍ من أنواع السلطة؛ بل كانت نُظمُ القبائلَ، وعوائدهم، وفيها ما فيها من البعد عن تحكيم شرع الله هي السائدة؛ ويبدو أنّ المكانة الدينية، والرّوحية للفقهاء آل بكري العجيلي لم يكن نافذًا على القبائل لعدم وجود السلطان الذي يزعهم بقوة السلطان، ويأطرهم على الحقّ أطرًا.

ولذلك اضطرّ أهل بلدة «رجال» وعلى رأسهم الفقهاء من آل بكري العجيلي، وبقيّة الأسرة العُجيلية، وأهلُ الحلّ والعقد من كبار رؤوس الأسر التي تسكن إقليم رجال ألمع إلى كتابة عهدٍ ـ أو تجديده ـ في سنة 1159هـ، لتنظيم أمور الحياة، وفرض الأحكام، وتوزيع المهام في القرية، وما يليها، وتعيين الضمناء

---

(1) المصدر نفسه، الورقة 213ب، 214أ من المجموع.

(2) أنظر: عبد الله أبو داهش، حُباشة، ع 20، س20 (1435هـ/ 2014م) ص56، وما بعدها.

للقيام على تنفيذ هذا العهد، والاتفاق، والحيلولة دون الإخلالِ به ومن ثمّ تفشي الفوضى، واختلال الأمن في أوساطهم[1].

وأمام هذه الحال التي أدّت إلى كثرة الفتن، والمشاكل بين القبائل في هذا الإقليم يُمكن أن نفهم دوافع العلّامة الحفظي لإرسال رسالةٍ إلى الإمام الزيدي علي بن الإمام المهدي العباس بن المنصور حسين بن القاسم (ت 1224هـ/ 1809م) قُبيلَ وصول الدعوة الإصلاحية، ونفوذ الدولة السعودية الأولى، يُخبرهُ فيها بأنّه قام يدعو الناس في بلاده إلى بيعة الإمام المذكور، ويحضهم على السعي إليه، والانضواء تحت رايته، وسلطته؛ ولكنه اضطرّ إلى التوقف عن ذلك عندما بدأ وصول أمر عبد العزيز النجدي إليها[2]، ودخول البلاد في طاعته. فشكر له الإمام فعله، وبعث له بجائزة سنيّة قدرها ستون قرشًا فرانصة، وكسوة عظمى[3].

ومن المؤكد أنّ العلّامة الحفظي يعلمُ حقّ العلم أنّ هذه الجهة من بلاده، وغيرها من إقليم عسير لن يقبل بدعوته للانضواء تحت حكم الإمامة الزيديّة أو غيرها، إمّا لاختلافهم

(1) وثيقة عهد قديمة، نقلها بخطه العلامة أحمد بن عبد القادر. أصلها في مكتبة علي الحسن الحفظي، ومنها صورة في مكتبة الملك فهد الوطنية، ضمن مجموعة الحفظي

(2) يقصدُ وصول نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى عسير، ودخول البلاد تحت سلطتها سنة 1215هـ/ 1800م، كما هو معلوم.

(3) لطف الله جحاف، درر نحور العين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين (1189 ـ 1224هـ) الورقة 447 من مخطوطة مكتبة الإمام زيد، صنعاء، وانظر: ص 483 من المطبوعة، تحقيق ابراهيم المقحفي، مكتبة الارشاد، ط1، صنعاء 2004م.

في المذهب، أو لأنّ هذه البلاد عصيّة على الدخول تحت نفوذ أيّةِ سلطة خارجية؛ لكنّ حالة الفوضى التي كانت تضربُ أطنابها، والجهالة المتفشية في إقليمه، وضعف الوازع الدّيني هو ما حداه إلى محاولته؛ وهناك إشارة غامضة وردت عند القبي أثناء كلامه على السيد الشريف العلامة أحمد بن إبراهيم النعمي الأخرش (ت1157هـ على الظنّ)[1] حيث يقول: «.. **وقد همّ بالقيام في بلاد رجال ألمع**. .»[2]؛ ومن يتأمّل هذه الجملة من النّصّ، وينظر فيما سبق من كلام العلامة أحمد بن عبد القادر الحفظي، ويستحضر كون النعمي من أوائل شيوخه والمؤثرين تأثيرًا كبيرًا في شخصيّته سيستشفُّ لا محالة أنّ السيّد النعمي ـ ونظرًا لِما كان له من مكانة عظيمة في رجال ألمع التي رحلَ إليها من المخلاف السليماني ـ قد فكّرَ، أو عزمَ أمام ما لمسه

(1) هو: السيّد العلّامة الشريف أحمد بن ابراهيم بن أحمد النعمي الملقّب الأخرش، ينتهي نسبه إلى نهمة بن علي بن فليتة بن الحسين بن يوسف نعمة الأكبر. قال القبي في ترجمته أثناء الكلام على العلماء من السادة آل النعمي: «السادة المشهورين» بـ«الخرش» وفيهم علماء نحارير سكنوا بوادي بيش، ورجال ألمع. أشهرهم أحمد بن إبراهيم، وله ديوان شعر. الجواهر اللطاف المتوجة بها هامات الأشراف من سكان صبيا والمخلاف، مخطوط، مكتبة الإمام زيد، صنعاء، الورقة 280، وما بعدها، وأحمد بن عيسى النعمي، السادة الأشراف آل النعمي (تاريخهم ـ مساكنهم ـ أنسابهم ـ أعلامهم خلال ثمانية قرون) شركة الريان، بيروت 2017م ص27، وما بعدها.

(2) محمد بن حيدر، الجواهر اللطاف المتوجة بها هامات الاشراف من سكان صبيا والمخلاف ـ مخطوط مصور ـ ضمن مجموع عن نسخة الإمام زيد، صنعاء. الورقة 280 أ.

من فوضى، وجهالة في تلك البلاد، وعدم وجود حاكم يضبط أُمورها أن يدعوَ لنفسه بالإمارة مستفيدًا من محبةِ أهلها لهُ، ومكانة أهلُ بيت النبيّ ﷺ فيهم؛ ولكنّه تراجع على ما يبدو زهدًا وورعًا، أوخشيةً من عدم استطاعته السيطرة على القبائل؛ والله أعلم؛ وتردُ إشارة أُخرى إلى خلوّ عسير عمومًا، وإقليم ألمع خصوصًا من أيّة سلطة سياسية حاكمة قبل الدولة السعودية الأولى ما ورد في السؤال الرابع من أسئلة الحفظي للعلامة الشوكاني، ومضمونه أنّ رجلًا فاضلًا ظهرت عليه الولاية، ودخل بلاد ألمع وادّعى الإمامة فيها، فأجابه الجميع، وبايعوه؛ لكنّه اشتدّ عليهم في الحكم، وعمد إلى إلزامهم بالأحكام الشرعية فالتزموها؛ لكن يبدو أنّه افتقد الحكمة، وحسن المسايسة، ولم يكن لهُ ظهير من قوة؛ فتبرّم الناس من أحكامه، وشدّة سطوته عليه فغدر بعضهم به، واغتاله عندما خرج إلى بعض القرى. . وقد حزن لذلك الحفظي فقال في سؤاله عقب ذلك:

«. . . . ثم وصل إلى بعض القرى فغدروه وقتلوه خذلهم الله، ونصره. . . »[1].

ويظهرُ أنّه المسمى بـمحمد بن عبد الله القحطاني الصعدي الزيدي، فقد ورد في بعض الأوراق التي اطلعتُ عليها في مكتبة الحفظي الخاصة أنّه قام في وجه شخصٍ يسمى ابن الزكّي في بلاد ربيعة كان يدّعي علم الغيب، ويلبس على الناس ويستدرجهم بكتابٍ عنده يدّعي أنّ فيه علم الخصب والجدب،

(1) عبد الله أبو داهش، حُباشة، ع 20، س 20 (1435هـ/ 2014م) ص59، وما بعدها.

فكانت عسير تقصده من كلّ جهة، ويجتمعون عنده يوم عاشوراء، ويسألونه عن الجدب والخصب فيُجيبهم بما وجد من تزوير في الملحمة التي عنده، فيعتمدون قوله جهالةً وضلالة؛ فتصدى له هذا القحطاني الصعدي فقتله. وقام داعياً في عسير، وكان أول أزال المناكر في أرضنا، وأقام فيها الأوامر والنواهي في جهة بلاد عسير. فاغتاله أهل حجلا ـ من قرى عسير ـ وقتلوه سنة 1205هـ. وأصبح قبره مشهورًا مزورًا، حتى كان النساء يمشون إليه من تهامة عسير إلى قبره للتبرك والزيارة. وفيه قال العلامة محمد بن أحمد الحفظي مرثية أولها:

الحمد لله ولي الحمد
من ليس يحصى فضله بالعد

ومنها:

وإنّ ممن شيّد الاسلاما
في أرضنا وقرّر الأحكاما
بهجتنا قدوتنا نادانا
امامنا الداعي الذي دعانا
محمد الصعدي ابن عبد الله
الهدويّ من به نباهي
فاظهر الدعوة في شعبان
في يوم الاثنين بلا تواني
وذاك في الحجاز رأس الحرب
شرقي أرض الشيخ بكري الندبِ
في عام خمسٍ بعد ألفٍ سلفا
ومائتين من ذهاب المصطفى

والـــقـــدرُ فـــي ولايـــة الإمـــام
أربـــعـــةٌ غـــرٍّ مـــن الايـــام
وضـــحـــوة الـــجـــمـــعـــة مـــات قـــتـــلا
مـــســـتـــشـــهـــداً وســـط ديـــار حـــجـــلا
ســـحـــقـــاً لـــقـــوم قـــتـــلـــوه سُـــحـــقـــا
نـــحـــن الـــبـــراءُ مـــنـــهـــم وحـــقـــا
لـــهـــفـــي عـــلـــيـــه مـــا بـــقـــيـــتُ حـــيـــا
مـــصـــابـــه يـــكـــوي الـــفـــؤاد كـــيـــا
آهٍ عـــلـــيـــه مـــن إمـــامٍ داعـــي
غـــريـــب دارٍ لـــلـــصـــلاح ســـاعـــي

إلى غير ذلك من الشواهد والأدلة التي تنطقُ بأنّ «عسير» بعمومها لم يكن فيها أميرٌ ولا إمارة لا من اليزيديين الأمويين، ولا من غيرهم؛ وكانت الجهالةُ متفشيةً في أنحائها طيلة العصر الإسلامي وحتى دخولها تحت نفوذ الدولة السعودية المباركة في مطلع القرن الثالث عشر الهجري.

حقيقة النشاط الفكري والعلمي في هذا الإقليم:

من المؤكد أنّ أيّ نشاطٍ علميّ، أو فكريّ يرتبطُ غالبًا بالبيئة الحاضنة، والمشجعة له سواء كانت سياسية أو اجتماعية، كما ترتبطُ أرتباطًا وثيقًا بالأُسر العلمية التي تتمتع بعمقٍ فكريّ متوارث؛ وتنعكسُ من ثمّ على البيئة المجتمعية، وعلى نظمها، وقوانينها، وما جريات الأحكام الشرعية فيها، وهو ما لم يكن موجودًا في غالب بيئة هذا الإقليم فيما قبل وصول نفوذ الدولة السعودية الأولى عدا الأسرة العلمية

العُجيلية التي لم تكن ذات جذور عسيرية، بل هي أُسرة وافدة إلى إقليم تهامة عسير في مطلع القرن الحادي عشر الهجري؛ أمّا بقية الإقليم فلا توجد ـ على حدّ علمي ـ أيّ أُسر علمية، إذا استثنينا بطبيعة الحال الأسرة المؤيدية الزيدية في بلاد الحرجة وما جاورها[1]، وهي أُسرة تختلفُ في عقيدتها ومذهبها، واتجاهاته الفكرية عن اتجاهات عموم المجتمع العسيري؛ ومن ثمّ كان تأثيرها ضئيلًا بل لا يكاد يُذكر.

وعليه فلو نظرنا إلى ما زعمه بعضهم من وجود علماء، وبيئة علمية ـ عدا الأسرة العجيلية ـ في هذا الإقليم فهو في غالبه مقاربات، وظنّيّات، واجتهادات لا يرفدها مصدرٌ موثوق، ولا نصوص صريحة واضحة تطمئنّ إليها نفس الباحث الحصيف الأمين؛ ولذلك ستجدُ أنّ هذه الآراء والإجتهادات سقيمة لا تقوم على أساسٍ متين، ولا رؤية واضحة؛ وسترى أنّ القائلين بها، والمائلين إليها لا حُجّة لهم، وأكثر ما يتكئون عليه مدونات شابها الزيفُ والاختلاق، وهي أوهى من بيت العنكبوت[2]؛ كما يعوزهم النصّ الصحيح الصريح فيضطرون في صياغاتهم، وسياقاتهم إلى ألفاظُ التضعيف كـــ (قيل، ويقال، وربما.. الخ)، ووثائق مجهولة المصدر، ومصنوعة؛

---

(1) تحوّل خلف هذه الأسرة إلى ألقابٍ أُخرى؛ ربما لاعتبارات سياسية، أو اجتماعية، أو غيرها. والله أعلم.

(2) ككتاب محمود شاكر ـ السوري ـ وهو كتاب لا يُعتدُّ بما فيه، في هذه المسائل والقضايا كما سبقت الإشارة؛ ومن أسفٍ أنّ هذا الكتاب على ركاكته أصبح المصدر الرئيس لجميع من كتب عن عسير.

وروايات شفوية مرسلة لمعاصرين يعتورها المبالغة، ويخالطها التزيّد في الكلام، ولا تكادُ تستبين فيها حقيقة مؤصلةً؛ أو يستجدون شواهد من أقاليم لا صلة لها بإقليم عسير، ولا تنتمي إليه[1].

وكيف ما كان الأمر فتقودنا ما ذكرته آنفًا من النّصوص الموثوقة التي وردت عند العلامة الحفظي، وغيره من استمرار القبائل في هذا الإقليم على أعرافهم، ونُظمهم القبليّة التي توارثوها كابرًا عن كابر منذُ قرون عديدة؛ إلى توضيح موجزٍ عمّا ألمحنا إليه في مقدمة البحث من ضعفٍ أو انعدام أيّ وجهٍ من وجوه الحياة العلمية بمفهومها المعروف، والنشاط الثقافي الفكري في هذا الإقليم في العصور الوسيطة، والمتأخرة الأمر الّذي جعل ـ مع الجهالة، وضعف الحالة الدينية في بلاد عسير ـ الأعراف القبلية المتوارثة تحلّ محلّ الأحكام الشرعيّة التي اضمحلّت نتيجة عدم وجود علماء، وطلبة علم ينشرون علوم الشريعةِ، ويبثون تعاليمها دعوةً، وتعليمًا بين هذه القبائل، ويوقظون فيهم أهمية التمسّك بشريعة الإسلام، ونشرها بين القبائل التي وصمها الكثير من المصادر بالجهالة الدينية،

---

(1) أنظر على سبيل المثال: عبد الله أبو داهش فيما كتبه؛ ومنها: بدايات الظهور الفكري والسياسي للدولة السعودية الأولى (1157 ـ 1233هـ) ضمن كتاب: تاريخ عسير وحضارتها عبر العصور، مطبعة الحميضي، الرياض 2010م، ص 82، وما بعدها، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الفكر والأدب، دارة الملك عبد العزيز، 1/ 27، بيوتات العلم بقبائل رجال الحجر، 469، وما بعدها، آل فايع، دور آل المتحمي. ص64، وما بعدها؛ إلى آخره.

والعلمية؛ واستمرّ ذلك حتى وصول موسى بن جغثم العُجيلي من بلدهِ «. . بيت الفقيه»[1] من أعمال زبيد في اليمن الأسفل في مطلع القرن الحادي عشر الهجري/ نهاية القرن السادس عشر الميلادي إلى عسير، واختطاط بلدة «رُجال»، وبناء أول مسجدٍ فيها، والقيام بالدعوة إلى الإسلام في بلاد عسير[2]؛ ثم أبناؤه، وحفدته من بعده بالدعوة إلى الله، ونشر العلم الشرعي فيها، وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى دانت عموم عسير للدولة السعودية، واعتنقت الدعوة الوهابية الإصلاحية[3]؛

(1) تعدُّ من أهم المدن في تهامة اليمن، وهي في المرتبة الثانية بعد مدينة زبيد، وتعود نشأتها إلى الفقيه والعلّامة، المشهور أحمد بن موسى العجيل في منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، ويُقال إلى عمه إبراهيم بن علي العجيل (ت043هـ/ 1242م. «وقد أضحت من حواضر العلم لكثرة الأسر العلمية بها». أنظر: الجندي، **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الارشاد، 1983، 1/ 478، الشرجي، **طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص**، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء 1986م، ص 46.

(2) وردت هذه العبارة التي تشوبها المبالغة ـ على ما يبدو ـ في رسالة مخطوطة متداولة منسوبة لإبراهيم زين العابدين الحفظي، ص 5، 6 (ترقيم حديث)، ووثيقة نسب الفقهاء آل عجيل برجال ألمع، ورقة 1. (نقلا عن أبي داهش، **أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة**، ص79)، وانظر: بن مسلط، **تاريخ عسير (رؤية تاريخية...)**، ص31.

(3) أنظر على سبيل المثال: عبد الله أبو داهش، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والادب بجنوبي الجزيرة العربية، طبعته الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، 1419هـ، ص 21، وما بعدها، آل زلفة، **دراسات من تاريخ عسير الحديث**، ص 18.

وهذه حقيقة نصّ عليها عددٌ من المراجع الحديثة[1].

ومن الإنصاف أن نذكر أنّ هذا الاقليم قد خرج منه في العصور الإسلامية المبكرة شخصيات مشهورة التحقت بركب النبوّة بعد أن اعتنقت الإسلام، وكان لقبائلها أثر واضح في الفتوحات الإسلامية شرقًا وغربًا؛ لكنّ هذه الطبقة من أهلها نزحت عن بلادها، ولم يعد منهم، أو من ذريّاتهم - على حد علمي - أحدٌ إلى إقليمه حتى يحمل مشعل العلم، ويتوارثونه فيها وينشرون عقيدة الدين، وشرائعه[2] وهذا مع انصراف أهله إلى حياتهم المعيشية، وانشغالهم بها، وانغلاقهم على أنفسهم في بيئاتهم، وبلدانهم، وضعف صِلاتهم بمن حولهم في البلاد التي كانت تشهد نهضةً علميةً، وفكريّة قد أدّى بهم إلى الدخول في حالة من العتمة الدينية والعلمية؛ ولا علاقة لما حلّ بالخلافة العباسية، ودخولها في عصر التفكك، والتخلّف في آخر أيامها بحالة هذا الإقليم كما يحاول البعض الرّبط بين الوضع الديني، والعلمي المُعتم في إقليم عسير، وأوضاع الدولة العباسية[3]، ذلك لأنّ هذه البلاد من خلال العرض التاريخي المتقدّم لم يكن لها، ولقبائلها صلة واضحة بالدولة العباسية، ولم تكن من حواضرها، كما لم يكن لأهلها أيّ اهتمام بما يدورُ حولهم من أحداث، وما يقع من تحولات سياسيّة أو عسكريّة في البلاد

(1) ومنهم هاشم النعمي، ومحمد العقيلي، ومحمد رفيع، وعبد الله أبو داهش، وغيثان بن جريس. .وغيرهم.

(2) استعرض عبد الله أبو داهش الكثير جدا من المادة العلمية - المبالغ فيها - في كتابه: **أهل السراة في الجاهلية والإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، اصدارات نادي أبها الأدبي، 2006م.

(3) هاشم النعمي، «**عسير قبيلةً وبلادًا**»، ص 197.

التي يجاورونها ناهيك بتلك الوقائع التي حدثت على بُعد آلاف الفراسخ عنهم؛ وعليه فمن أين يأتي التأثير المزعوم.

ومهما كان الحال فعلى الرّغم من هذه النصوص المصدريّة التي سنذكرُ بعضها، ويؤكدها ما يذهب إليه بعض المعاصرين مما فيه دلالة على أنّ هذه البلاد قد دخلت في حالة من السبات العقدي والعلمي، ونوعٍ من العتمة الحالكة التي تصل إلى الجهالة بكثير من أمور الدّين، وانعدام وجودٍ لأيّ شكلٍ من أشكال النشاط العلمي، والفكري في هذا الإقليم، وامتداد ذلك من بداية العصور الإسلامية الوسيطة حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي[1]، ولا يتنافى هذا مع ما وصفتْهم ـ أو بعضهم ـ بعض المصادر من رقّة القلوب، وبساطة في الدّعاء، وإخباتٍ وخشوع وقت ما يطوفون بالكعبة المشرّفة، ذلك لأنّ ابن جبير[2] عاد فذكر صفة صلاتهم فجعلها من المضحكات فهم لا يُجيدونها، ولا يؤدّونها على الوجه الشرعي، فتارةً يسجدون دون ركوع، وأخرى يسجدون في الركعة سجدةً واحدة، ويلتفتون أثناء صلاتهم، ولا يتشهدون. . . إلى آخر ما ذكره . وهذا يدلُّ على تواضع حياتهم

(1) هاشم النعمي، المرجع نفسه ص 198، عبد الله أبو داهش أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة، ص419. وقد تجافيتُ عمدًا عن الاحتجاج بماورد في بعض المؤلفات التي تذهب إلى أنّ هذا الإقليم، وما جاوره من أقاليم أُخرى كانت سادرةً في الشرك، وأهلها مشركون مُستَحلُّون الدم حتى دخلوا في دين الإسلام على يد الوهابيين.

(2) ابن جبير، **الرحلة**، منشورات دار الهلال، بيروت، د ت، ص 98 ـ 100.

الدينية، وتفشي الجهل، كما تدلّ على حالة البداوة، والعزلة الاجتماعية التي كانوا يعيشونها[1].

والنشاط العلمي بديهيًا متعلّقٌ بالجانب الديني، فإذا كانت الحالة الدينية ضحلة على ما أوضحته النصوص، والشواهد السابقة، فمن المؤكد أن يكون النشاط العلمي منعدمًا بجميع أنواعه، وصوره؛ أو ما يصفه بعض المعاصرين بوصفٍ غير دقيق «التعتيم العلمي»[2]؛ وقد وردت عدةُ نصوص مصدريّة تُفصحُ عن هذا الجانب، وتنفي أن يكون بها من يعرفُ شيئًا من العلم، سواءٌ في القرون الوسيطة، أو المتأخرة. وسأكتفي ببعضها كنوعٍ من الدلالة ليس إلّا؛ وبعيدًا عن التفاصيل، وهي تُضافُ إلى ما سبقها من نصوص.

فالسمعاني (ت562هـ/ 1166م) يقول في كتابه في آخر نصّه مما ورد في مادة «السروي»: «.. **وسرو ناحية باليمن مما يلي مكة، وهي قريات كثيرة مجتمعة يحضرُ منها جماعة كثيرة يحملون الميرة إلى مكة.. ويُقالُ لهم السرويّة، وأهلُ سرو لا أدري هل كان فيهم من يعرفُ شيئًا من العلم، أو حدّثَ، غير أنّي ذكرتهم ليُعرفوا**»[3]؛ ويؤكد عز الدين ابن الأثير الجزري (ت630هـ/ 1232م) في كتابه اللّباب، في مادة «السروي» ما ذكره السمعاني فيقول: «**وإلى السرو، وهو ناحية**

---

(1) يرى أبو داهش أنّ هذا الوصف ربما قصد به ابن جبير جماعة، وليس عموم سكان السراة، وهو اجتهادٌ بعيدٌ عن واقع الحال.

(2) أبو داهش، **أهل السراة**. ص 421، وما بعدها.

(3) **الأنساب**، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي، دارالجنان، ط1، بيروت 1988م، 3/ 251.

باليمن مما يلي مكة وهي قُرى كثيرة مجتمعة يحضرُ منها بمكة جماعة كبيرة يجلبون الميرة؛ ولا أدري هل كان فيهم من يعلمُ شيئًا من العلمِ أم لا»[1].

ويغلبُ على الظنّ أنّ هذا ليس على إطلاقه في جميع مجتمعات هذا الإقليم، وفي جميع القرون التي سبقت وصول الدعوة الوهابية الإصلاحية، فربما كان البعضُ ـ وخاصّة من كانت ديارهم متداخلة مع دولة الأئمة الزيدية ـ ونظرًا لسهولة التواصل مع حواضر العلمِ بها كمدينة صعدة، فلا يبعد أن يكون لدى هذا البعض أثارةٌ منَ علم، ومعرفةٍ بأمور دينه؛ ذلك لأنّ العُمريّ يذكرُ أنّ (أبو جعفر بن غَانم) قد حدّثه عن هؤلاء. . وذكر في عرضِ قوله أنّهم «**أهلُ سلامةٍ وخيرٍ وتمسّكٍ بالشريعة، ووقوفٍ معها، يعضُّون على دينهم بالنواجذ..»**[2].

ولعلّ هجرات بعض أعلام وعلماء الزيديّة إلى بعضِ المواضع من هذه البلاد ـ كماَ سبق ذِكره ـ وخاصّة ما كان متاخمًا لبلاد الزيديّة؛ وما كانوا يعقدونه من حلقات، ودروس العلمِ فيها، ومنهم بعضُ علماء آل المؤيد الذين سبقت الإشارة إليهمِ. فعلى سبيل المثال كان بعضهم يعقد دروسًا في فروع الفقه الزيدي، ويُملي، ويُقرئُ في بعض المؤلفات في علوم العربية، وغيرها من مؤلفاتهم في «الحرجة»؛ فالحموي ـ على سبيل المثال ـ يذكر في ترجمة ابن أبي الرجال أنّه رحل إلى الحرجة فقرأ بها شرح الخبيصي على الكافية في النحو، وشرح

---

(1) **اللباب في تهذيب الأنساب**، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى، بغداد، د ت، 2/ 115.

(2) **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، السفر الرابع، ص55.

التلخيص للسعد التفتازاني، وغيرها على السيد العلامة صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي[1]، وكذلك عبدالله بن علي المؤيدي عندما مكث سنين عديدة في كلٍّ من «ذهبان» شهران، و«الواديين» كان يعقدُ فيها الدروس، والتدريس والإقراء كما يقول ابنه[2].

والذي يظهر أنّ أهل البلاد العسيرية لم يحتفلوا بهذه الدروس، وبقيت موجّهة لقلّة قليلة من الزيدية؛ وقد يعودُ هذا إمّا إلى كون أكثرهم من أهل السنّة الشوافع[3]، أو لعدم اهتمامهم بطلب العلم، وانشغالهم بأمور حياتهم الخاصّة، ومعايشهم، وإمّا لعَدم وجود الهمّة، والدافع للتعلّم؛ والله أعلم؛ واستمرّ هذا فيهم حتى انضوت هذه البلاد تحت سلطة الدولة السعودية، وما رافق ذلك من عناية أولوها لأهل هذه البلاد لانتزاعهم من حالة الجهل والأمّية بأمور دينهم، وكونهم لا يتحاكمون إلى شرع الله، بل إلى أعرافهم، وقوانينهم القبلية، فحرص الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد (1218هـ/ 1803م - 1229هـ/ 1814م) على توجيه أمير عسير طامي بن شعيب (1224هـ/ 1807م - 1230هـ/ 1815م) في سنة 1226هـ على إرسال من يعلمهم، فبعث العلامة

(1) مصطفى الحموي، **فوائد الارتحال**، مخطوط، نسخة د. عائض الرداي، ق1، ورقة 994.

(2) **التحفة العنبرية**، الورقة 322أ.

(3) أنظر: **مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير**، علّق عليها محمد بن أحمد العقيلي، نادي أبها الأدبي، 1984م، ص19؛ وسبق معنا عدم احتفاء شيوخ شهران في ذهبان وغيرها، وأهلها بدروس الإمام عبد الله المؤيدي.

عبد القادر بن أحمد الحفظي الابن الثاني للعلامة الكبير أحمد الحفظي بن عبد القادر؛ قال عبد الرحمن بن محمد الحفظي في مجموعه: «**وفي سنة 1226هـ في شهر ربيع الآخر بعث الأمير طامي والدنا الوجيه العلامة عبد القادر بن أحمد الحفظي إلى كافة عسير السراة لتعليمهم شرائع الإسلام، وأخذَ عليهم عهودًا على تحكيم الشريعة المحمدية في كلّ ما شجر بينهم..**»[1]. فهذا نصٌّ مصدريٌّ واضحٌ، وموثوق، ولا يُمكن تأويله، أو تسويغه يُفصحُ بما لا مرية فيه عن الحالة الدينية والعلمية لسراة عسير.

ويقودنا هذا إلى تكرير السؤال: هل كان الأمراء اليزيديون لا يعرفون شرائع الإسلام؟ أم كانوا أُمراء أميين جهلة؟ أو لم يهتموا برعاياهم وإخراجهم من ربقة الجهل بالدين، وبشريعة الإسلام؟ وهل كان لهم في هذه القبائل قضاة يحكمون بشرع الله في إمارتهم المزعومة، أم كانوا يحكمون بأعراف القبائل، ونُظمهم المتوارثة البعيدة عن شريعة الإسلام؟ خاصّةً وأنّ عهد الأمير المقتول على يد جيش الدولة السعودية محمد بن اليزيدي، وهو آخر الأمراء اليزيديين - بزعمهم - ليس ببعيد.

ولمزيدَ تأكيدٍ على توضيح الحالة الدينية، والاجتماعية في هذه البلاد قبيل وصول الدولة السعودية، والدعوة الإصلاحية، وما أحدثوه من تحوّلٍ عظيم في الانتهاض بهذه المجتمعات القبلية السادرة في جهالتها، وأمّيتها، وأعرافها وقوانينها القبلية، خليّةً من أي سلطةٍ، أو أثارةٍ من علم، ونهج سليم؛ ينبغي أن نعود إلى بعض المؤلفات في العصور المتأخرة، كمؤلفات بعض

(1) **مجموع في تاريخ عسير** (تاريخ الملك العسيري)، الورقة 1.

علماء آل الحفظي، وغيرهم؛ لننظرُ، ونستدلّ بما ورد فيها من نصوص مُعبّرةً، وموضّحةً هذا الجانب في القرون المتأخرة؛ ومن ثمّ سنجدُ أكثر مما نحتاجه للدلاة على ما نبتغيه، وهي نصوصٌ تُفصحُ عن واقع حال مجتمعات هذا الإقليم، وسيطرة الأعراف القبليّة عليهم في أحكامهم، وحياتهم اليومية، ومجانفتهم للأحكام الشرعيّة، وعدم قبولهم بها لعدم تعوّدهم إياها، وعلمهم بها، ولعدم وجود علماء، وطلبة علم قاموا بنشرها، وترسيخها في هذه المجتمعات، أو كان لهم أثرهم في أيّ نشاطٍ علميّ، أو فكريٍّ مُفترض في هذا الإقليم بعمومه. ويمكن أن نُضيف إلى ما سبق من أمثلة ما ورد في أحد أجوبة شيوخ الحفظي من علماء آل الأهدل عن أسئلةٍ أرسلها العلامة أحمد الحفظي بن عبد القادر حينما كان يتولى القضاء بالاحتساب في هذه القبائل، ثم يصدم بإصرارها على الركنون والميل إلى التحاكم وفق ما تقضي به أعرافهم على ما تقتضيه أحكام الشريعة الإسلامية فقال فيها: «**واعلم ثانيًا أنّ ما يتعارفهُ القبائل المذكورة في جهة الحجاز من الأعراف المخالفة للشرع، وكذا ما يتعارفه على ذلك الوجه غيرهم من القبائل قد تكلّم عليها أئمة الإسلام، وهُداة الأنام. .**»، وساق شيخه أحمد السعدي الأهدل له مجموعة من الأحاديث، والنصوص الشرعيّة، وأقوال العلماء، وفتاويهم كلها تصبّ في تحريم تقديم أعراف القبائل على أحكام الشريعة الإسلامية في مثل هذه القضايا التي تشجر بين الناس، ومن بينها فتاوى لشيوخه بني الأهدل[1]، ويؤكد فشوّ الأعراف القبلية البعيدة

(1) مسائل مفيدة وأبحاث عديدة وصلت من أحمد بن عبد القادر بن بكري، الورقات: 189ب، إلى 192أ.

عن الشريعة الإسلامية ما ورد في بعض رسالة الإمام المنصور علي بن الامام المهدي العباس (ت1224هـ/ 1809م) السالفة، التي أرسلها جوابًا على رسالة العلامة الحفظي إليه، وقد دعاه إلى القدوم إلى إقليمه، أو إرسال منْ ينوبُ فيها مكانه لأطرِ الناس على الحكم بما أنزل الله..؛ فنفهم من هذا جانبًا مما كان يسود هذه المجتمعات يالعسيرية من أعراف ظالمة، وبعدهم عن شريعة الله..؛ فهو يقول فيها بعد الديباجة: «**..الفقيه العلامة بقية أهل الاستقامة صفي الدين الماشي على سَنَن الصالحين أحمد بن عبدالقادر أعانه الله في الموارد والمصادر...فإنّه اتصلَ بمقامنا الشريف وسوحنا العالي المنيف كتابكم المشتمل على الدعوات المستجابة، والكلمات المستطابة، وقد حمدنا الله سبحانه على وجود مثلك في تلك المحلات التي قلّ من يعرف فيها كثيرًا من الواجبات؛ فلا تترك ما يجب على العلماء من تعليم معالم الدّين، وتعريف أهل تلك الجهات ما يجب على المسلمين، وبالغ في تعليمهم الصلوات، وملازمة الجمعة والجماعات؛ وعرّفهم بحرمة أحكام الطاغوت، وحرمة منع ميراث البنات ما وصّى لهنّ الحيّ الذي لا يموت، ولم يجعل بيانه على لسانه ﷺ؛ بل تولى بيانه في كتابه المبين، فهو قرآنٌ يُتلى على مرور الأيام والسنين؛ ولولا الشغلة الآن بالمهم من الجهاد، وتوجيه الخيول والأجناد لحفظ أطراف البلاد لتوجّه عزمنا إلى تلك الجهات..** الخ»[1]. ويبدو مع سيطرة أعراف القبائل، ومحاولته ـ الحفظي ـ الحكم بما يقتضيه

(1) مكتبة الملك فهد الوطنية، مجموعة الحفظي المصورة، وثيقة رقم (105/ 67).

الشرع فيصطدم بعدم قدرته على التنفيذ لعدم وجود السلطة التي يستعينُ بها على فرض أحكام الشريعة الإسلامية على هذه القبائل لا من أُمراء، ولا حتى شيخ قبليّ له نفوذه؛ فيضطرّ العلامة الحفظي إلى البحث عن مخارج شرعية من مثل محاول الارتكان إلى قاعدة «درء المفاسد وجلب المصالح» للخروج من مأزق أن يؤدي حكمه الشرعي إلى رفض القبائل، والجرّ إلى حروب وسفك دماء؛ وربما من باب الاستعانة بذوي العلم، أو تأكيد وجهة نظره، فيراسل بعض شيوخه العلماء من بني الأهدل وغيرهم، لطلب الجواب منهم فيما يُصدره من أحكام وفق هذه القاعدة ويُلحّ في سؤالهم في أن يجدوا له مخرجًا ومناصًا لترك الحكم الشرعي، وجواز النّزوع إلى أعراف القبائل وأنظمتهم رغم مخالفتها للحكم الشرعي، إذا كان في ذلك سدًّا للفتنة، ودرءًا لسفك الدماء بين القبائل؟[1].

فها أنت ترى البيئة التي كان يعيشُ فيها العلامة الحفظي، والحالة الدينية والاجتماعية، والفكرية السائدة في هذه المجتمعات قبل وصول الدولة السعودية، والدعوة الإصلاحية إلى هذه البلاد، وكيف كان على الرّغم من مكانته في العلم، والفضل لا يستطيع فرض الحكم الشرعي فيما يشجرُ بينهم من مشكلات لانعدام السلطان الذي يستطيعُ الحفظي من خلاله أن يزع به في هذه القبائل، وكيف يضطرّ إلى المقاربة، والمواءمة بين الحكم الشرعي، وبين أعرافهم، ونُظمهم القبلية؛ ويتمحّل هذا من خلال الاتكاء على هذه القاعدة، ومحاولته الاستئناس والتأكيد على عزمه هذا بفتوى شيوخه.

---

(1) مسائل مفيدة. الورقة 192 أ.

وفي رسالةٍ جوابية صدرتْ من الإمام الزيدي المنصور علي بن الامام المهدي العباس (ت1224هـ/ 1809م) إلى شريف مكة غالب بن مساعد[1] يشرحُ له فيها ملابسات وصول نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى بلاد عسير، وأنّ سلطانهم لم يصل إلى أغواره وأنجاده بل تسلّط - كما يقول - على «**عوام أغتام لا يعرفون رسوم الإسلام، ولا يدرون بحلالٍ أو حرام، وهم أهلُ الشام القاطنون بيننا وبين الحجاز، ولم يكونوا داخلين تحت ولايتنا، ولا هم من أهل ملّتكم وملّتنا، بل هم جاهلية جهلاء، على نمط العرب الأولى فرعًا، وأصلا..**»[2]؛ وفي نصٍّ آخر للعلامة الشوكاني (ت1250هـ/ 1834م) يذكر أثناء حديثه عن وصول نفوذ الدولة السعودية، والدعوة الإصلاحية إلى بلاد عسير، وكيف كان لها أكبرُ الأثر في تعليمهم تعاليم الشريعة الإسلامية، وفي تصحيح عقيدتهم، وانتشالهم من غيابةِ الجهل إلى نور الإسلام فيقول: «.. **ودخل في طاعته من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز وصعدة غالبهم إمّا رغبةً، وإمّا رهبة، وصاروا مُقيمين لفرائض الدّين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئًا، ولا يقومون بشيءٍ من واجباته إلاّ مجرّد التكلّم بالشهادتين على ما في لفظهم من عوَج. وبالجُملة فكانوا جاهليّة جهلاء كما تواترت بذلك الأخبار**

(1) كان حاكمًا بين سنتي (1202هـ - 1228هـ / 1787م - 1813م). وتوفي سنة 1233هـ/ 1817م.

(2) ذكريات الشوكاني (رسائل المؤرخ اليمني محمد بن علي الشوكاني)، نص رقم (23) حققها صلاح رمضان محمود، دار العودة، بيروت، ص95.

إلينا...الخ»[1]. ومثله النعمي في حولياته يصمهم في حوادث سنة 1221هـ بأنّهم قريبو عهد بالإسلام[2]، وسبقت الإشارة إلى دور العلامة عبد القادر بن أحمد الحفظي التعليمي، والتوجيهي، والديني في هذه القبائل[3].

ومن الإنصاف أن نقفَ غير مسلّمين تمامًا ببعض ما ورد من النصوص التي خرجت عن الجادّة، وحادت عن الواقع، وذهبت تنفي معرفة هذه القبائل بمبادئ الإسلام كلّيّةً؛ ومع ذكرنا له فإنه لا يمكن الاطمئنان إلى وجاهة أكثرَ ما ورد فيه؛ حيث يذكر المستشرق بوركهارت وهو يتحدّث عن أهل هذه البلاد، وعما تتمتع به من خيرات، ومن قوّة أهلها العسكريّة، وفضل علماء الدعوة الإصلاحية في تعليمهم أمور الإسلام، وأنّهم قبلها لا يعرفون أكثر من الشهادة ما نصّه «.. قبل أن يقوم الوهّابيون بتعليمهم المبادئ الإسلامية الحقيقية، لم يكونوا يعرفون من دينهم أكثر من لا إله إلّا الله، محمدٌ رسول الله، ولم يقوموا بتأدية الشعائر والطقوس المفروضة..»[4].

---

(1) محمد بن علي الشوكاني، **البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع**، تحقيق حسين عبدالله العمري، ط2، دار الفكر، دمشق 1998م، ص525.

(2) حوليات النعمي التهامية (من تاريخ اليمن الحديث 1215 ـ 1258هـ ـ 1800 ـ 1842م) تحقيق ودراسة حسين العمري، دار الفكر، دمشق 1987م، ص35.

(3) تاريخ عسير لعبد الرحمن بن محمد الحفظي، تكملة ابنه القاضي حسن بن محمد، مخطوط بمكتبة علي الحسن الحفظي، الورقة (1).

(4) جون لويس بوركهارت، **رحلات إلى شبه الجزيرة العربية**، =

ومع التسليم بفضل الدولة السعودية الأولى، وعلماء الدعوة الوهابية الاصلاحية، وما أحدثوه من تحوّل إيجابي على عسير، وأهلها[(1)]؛ فلا نجدُ تفسيرًا، أو مسوّغًا لهذه النّصوص المتأخرة الحادّة التي تُصوّر الحالة الدينيّة، والعلميّة عند أهل هذه البلاد إلّا أمرين، أو أحدهما؛ فإمّا أن تكون الحالة التي تم وصفها، وتوثيقها بالكثير من النصوص المصدريّة قد جعلت أوضاعهم تشتهر، وتذيع، حتى بلغ خبرها كلّ من جاورهم من البلاد، وأهلها نتيجة تناقلها ممن اتصل بهم، أو رحل إليهم، أو رحلوا إليه، أو مرّبهم ـ خاصةً وهم على طريق الحج، والتجارة ـ أو خالطهم؛ وإمّا أنّ بعضًا من المبالغة قد شابت ما ذكرته تلك المصادر من تصوير هذه الأحوال لبيان أثر الدعوة الإصلاحية في التحوّل الكبير الذي أخرج أهل هذه البلاد من عتمتهم السياسية، وضحالتهم الدّينيّة؛ والجهل المتفشي فيهم؛ وما يقودنا إلى أنّ المبالغة واضحة في تلك النصوص وقوفنا على

= ترجمة هتاف عبد الله، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت، 2005م. ص 373. وقام بعض الباحثين، ومنهم عبد الله أبو داهش، وأحمد آل فائع بمناقشة ما ورد عن العلامة الشوكاني، وبوركهارات. أنظر على سبيل المثال: عسير في ظلال الدولة السعودية الأولى (1215 ـ 1233هـ)، نادي أبها الأدبي، 1410هـ، ص 10؛ دور آل المتحمي، ص52.

(1) أنظر على سبيل المثال: الشوكاني، البدر الطالع، ص525. وانظر مقدمة عبدالله. أبو داهش في كتابه السالف: أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية، وفي صفحاتٍ عديدة.. ومنه ص78، وما بعدها. وفي كثير من المؤلفات التي تناولت عسير في عهد الدولة السعودية، وأثر الدعوة الاصلاحية.

إشارات في بعض الوثائق تنصُّ على أنّه كانت لأسرة الداعية موسى بن جغثم العُجيلي منذُ وصوله في آواخر القرن العاشر الهجري إلى رجال ألمع في تهامة عسير؛ وبروز ابنه العلامة محمد بن موسى في مطلع القرن الحادي عشر الهجري، وأبناؤهُ من بعده حتى وصول الدعوة الإصلاحية في بداية القرن الثالث عشر الهجري جهودٌ في نشر تعاليم الإسلام، وهداية الناس، وتعليمهم في هذه الجهات[1]، على الرّغم من شوائب العقيدة الصّوفيّة التي غلبت نتيجة نزعة هذه الأسرة كما هو معلوم؛ ولكن على ما يبدو كان تأثيرهم ضعيفًا، ومحدودًا حتى جاءت الدّعوة الاصلاحية فأحدثتْ تحولًا جذريًا في مجتمعات هذا الإقليم سراته، وتهامته؛ والله أعلم[2].

كما أنّ هناك إشارات نادرة جدًا إلى شخصيات وُسمت بلقب «الفقيه»، أو «العلامة» منذُ منتصف القرن الحادي عشر الهجري، وما بعده فقط، وخاصّة في تهامة عسير، وأنّ بعضهم كانت له رحلة، واستنسخوا بعض الكتب. .الخ[3]؛ لكن إن

---

(1) وردت إشارات في رسائل شيوخ محمد بن موسى إليه كالعلامة عمر بن عبد الرحيم البصري (ت1034هـ)، وأحمد القشاشي (ت 1071هـ) يحثونه على الصبر في دعوة أهل بلدته إلى الشريعة الإسلامية. مجموعة رسائل في مكتبة علي الحسن الحفظي الخاصة بأبها.

(2) قام بعض الباحثين، ومنهم عبد الله أبو داهش، وأحمد آل فائع بمناقشة ما ورد عن العلامة الشوكاني، وبوركهارات. أنظر على سبيل المثال: عسير في ظلال الدولة السعودية الأولى (1215 ـ 1233هـ)، نادي أبها الأدبي، 1410هـ، ص 10؛ دور آل المتحمي، ص52.

(3) أنظر على سبيل المثال: أحمد آل فايع، مرجع سابق، ص27 ـ 28.

صحّ ذلك فمن المؤكد أنّهم من تلامذة البيت العُجيلي في رجال، المتخرّجين بهم؛ ولم يكن لبيوتهم التي ينتمون إليها عُمقٌ علمي، ولا توارث للعلم كابرًا عن كابر، ولم تُعرف بيوتهم بأنّها من حملةِ العلمِ منذُ قرون سابقة، بل يبدو أنّهم من تلامذة البيت العُجيلي في رجال ألمع كما قلتُ آنفًا[1]؛ لذلك يبدو أنّه من المجازفةِ بمكان ما ذهب إليه البعض من وجود علماء، وأسر علميّةٍ في هذه البلاد قبل أُسرة بكري بن محمد العجيلي، التي عُرف بعض فروعها بعد ذلك بآل الحفظي نسبةً إلى العلامة أحمد الحفظي بن عبد القادر بن بكري، وحتى لو افترضنا وجود بعض الفقهاء، في بعض المواضع من عسير إلّا أنّ أغلبهم كان بعد وصول الدعوة الاصلاحية إلى هذا الإقليم، وتأثرهم به؛ كما لم يكن لهم أثرٌ واضحٌ في بلادهم، ولا يعدو دورهم أن يكون مقصورًا على الإمامة في الصلاة، أو تولّي بعض الأمور الاجتماعية للقبيلة التي هم فيها، ولم يكن لهم باعٌ في العلم كما الأسرة العُجيلية. ولا تسمحُ حدود هذا الموضوع، وأُطره بمناقشةِ هذه الاجتهادات التي لا تستندُ إلى أدلّةٍ ثابتةٍ واضحةٍ قويّة، والتي تذهبُ بعيدًا في استشهاداتها عن إقليم عسير المعروف[2].

---

(1) أنظر أحمد الحفظي، الوفاء بالعهود لأصحاب اللحود أصله في مكتبة الأحقاف، ورقة 54أ، 55أ.

(2) من استطرد في هذا الموضوع كانت أكثر شواهده من تهامة كمخلاف حلي، وما تاخمه مما ينتمي أكثره إلى مناطق أخرى لا صلة لها بإقليم عسير، ولا بحدوده المعروفة قبل عشرات السنين، وحاليًا. ولعلّ هناك تفصيلات ستردُ إن شاء الله في دراستي المعنونة بـ«العلامة أحمد بن عبد القادر الحفظي، حياته وآثاره العلمية».

وينقدحُ من خلال هذه الأحوال الدينية الضعيفة عند أهل السراة سؤالٌ نقذفُ به على من يذهب إلى وجود إمارة يزيدية متوارثة منذ القرون المبكرة إلى القرون المتأخرة، وأمراء طبّقت شهرتهم الجزيرة العربية بصولاتهم وجولاتهم، وتمددهم السياسي والعسكري على أغلب بلاد الجزيرة العربية فيدمغهم؛ وهو: ألم يكن لهم تأثير في تصحيح عقيدة، ودين رعيّتهم؟! أم كانوا مثلهم يعيشون في جهالةٍ، وضحالةٍ دينيةٍ لا يعرفون شريعة الله، ولا يُقيمون أمور دين الإسلام وشعائره وحدوده، ولا يفقهون هم ولا أعوانهم، وأسرهم شيئًا من العلم الشرعي، أوغيره من العلوم، ومن ثمّ لا يُجيدون هم ولا أعوانهم، وحاشيتهم كتابةً، ولا تدوينًا، وكيف كانت دولتهم، أو إمارتهم المزعومة تعيش، وتحكم في ظلّ هذه الظلمات؟! ويمكن أن نخلص من خلال مرّ معنا في هذا العمل العلمي الموثّق إلى عدّة نقاط أُجملها في التالي:

- أرجو أن يكون في هذا الجهد العلمي ما يردُّ على تلك المؤلفات، والمدوّنات الزائفة المزوّرة، وما نسجته من أحداث، واختلقته من وقائع، وأسماء نظمتْ منه سياقًا تاريخيًا سياسيًا مصطنعًا لهذا الإقليم، ولتلك الدراسات والمؤلفات التي انساقت خلفها دون بصيرة، أو اغترّت بمحتواها.

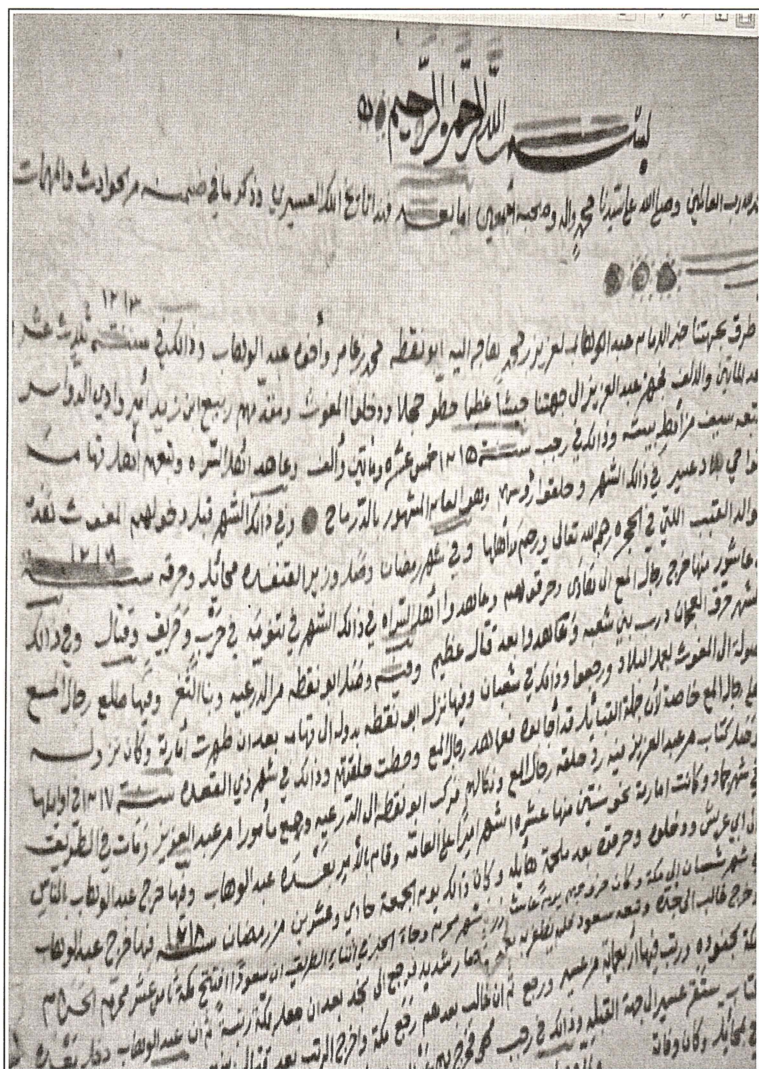
- لعلّ فيما فصّلتهُ في ثناياه غُنيةً لمن طلبَ دراسات معمّقة لهذه المؤلفات الزائفة قبل الحكم عليها بالزيف، والاختلاق.

- اتضحَ لكلّ باحثٍ متجرّدٍ من الهوى، والغفلة يبتغي الإنصافَ

أنّ إقليم عسير كان قبليًا قُحًا لكلّ قبيلةٍ فيه نظامها، وشيوخها، واستقلالها، وحدودها، ولم تكن تجمعهم جامعة، ولا وحدّت كلمتهم سلطة قبل وصول الدولة السعودية الأولى، وضمها سنة 1215هـ.

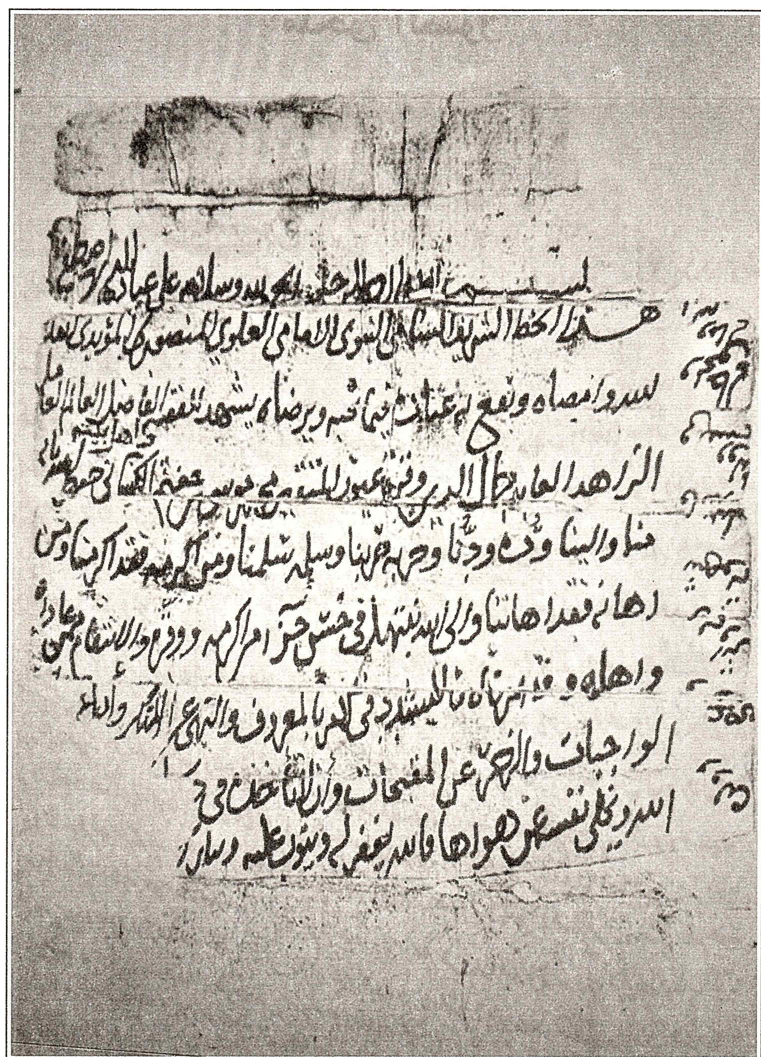
- كان سكانها قومًا بُسطاء في حياتهم الدينية، والفكرية، منشغلين بما هم فيه من أمور معايشهم، ومنصرفين إليها بكلّيتهم؛ مع اتصافهم بصفات الشجاعة والكرم، والأنفة من الخضوع لأية سلطة داخلية، أو خارجية خلا سلطة شيوخهم القبليين حتى استطاعت الدولة السعودية ضمّهم، وبثّ تعاليم الدعوة الإصلاحية في مجتمعاتهم، ومن ثمّ إعادة تشكيلهم، سياسيًا، وفكريًا، ودينيًا؛ وانتشالهم بفضل الله من حياة البداوة القاتمة المعتمة، والدفعِ بهم إلى أُفق الحضارة الرّحب.
- اتضح من خلاله أثر الأسرة العجيلية منذُ عهد جدّهم، ومن بعده في الدعوة إلى الشريعة الإسلامية، والتعليم، والتنوير في مجتمعات جزء من عسير التهامية المعروفة بالحجاز.

ملحق الصور



بسم الله الرحمن الرحيم

...د لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد فهذا تاريخ المخلاف العسيري وذكر ما فيه من الحوادث والمهمات



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
هذا الخط الشريف [illegible] الإمامي العلوي [illegible]
[illegible] ونفع به [illegible] ومرضاه يشهد للفقيه الفاضل العالم العامل
الزاهد العابد [illegible]
منا والينا [illegible] وحربه حربنا وسلمه سلمنا ومن أكرمه فقد أكرمنا ومن
أهانه فقد أهاننا [illegible]
وأهله [illegible]
[illegible] بالمعروف والنهي عن المنكر وأداء
الواجبات والنهي عن المقبحات [illegible]
الله [illegible] نفس عن هواها والله يغفر له [illegible] وسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

... أهل [illegible] وأهل البوادي يحدث فيهم ما يوجب الحد والتعزير [illegible]

عن الولاة المتعدين للأحكام الشرعية ومن المعلوم أنه لا تعطل الحدود ولا الزواجر [illegible]

[illegible]

[illegible]

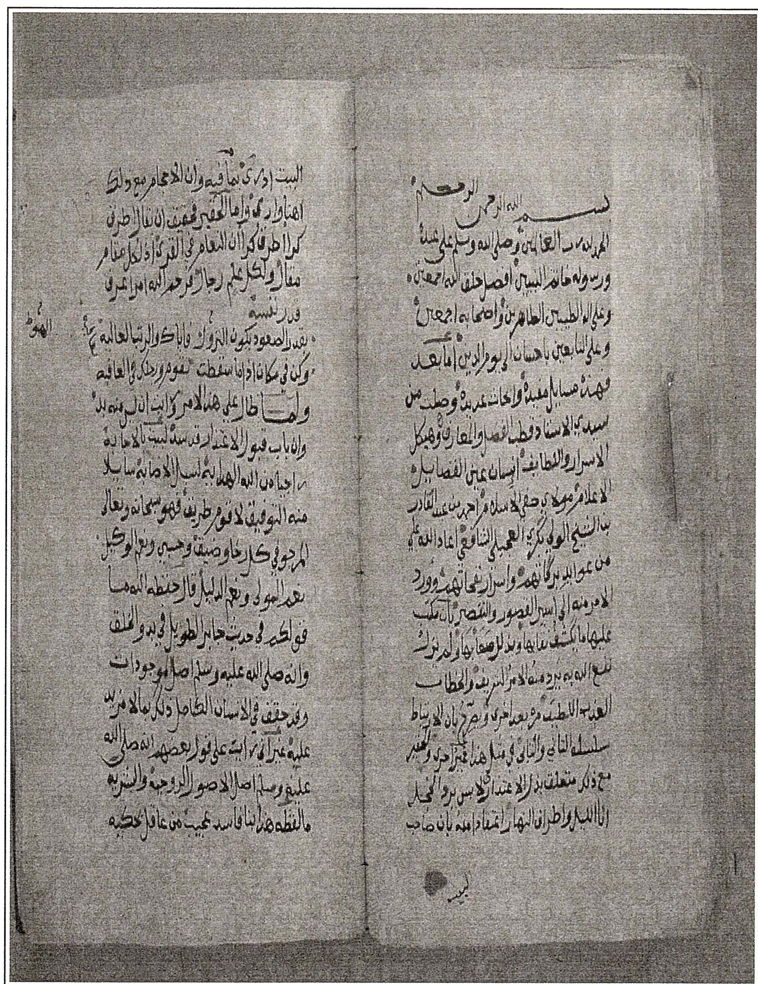
أجاب

[illegible] وصلى الله وسلم على [illegible] محمد وآله [illegible]

[illegible]

عن السؤال الثالث أن الواجب على كل [illegible]

[illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا
ورسوله خاتم النبيين أفضل خلق الله أجمعين
وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه أجمعين
وعلى التابعين بإحسان إلى يوم الدين أما بعد
فهذه مسائل مفيدة وإفادات عزيزة وصلت من
سيدي الأستاذ قطب الفضل والمعارف وهيكل
الأسرار واللطائف إنسان عين الفضائل
الأعلام مولاي صفي الإسلام أحمد بن عبد القادر
بن الشيخ الولي بكري العجيلي الشافعي أعاد الله علي
من عوائد بركاتهم وأسرار نفحاتهم وورد
الأمر منه إلى أسير القصور والتقصير بأن نكتب
عليها ما يكشف نقابها ويذلل صعابها ولم نزل
نتبع الله به يرد منه الأمر الشريف والخطاب
العذب اللطيف مرة بعد أخرى ويصرح بأن الارتباط
سلسلة الثاني والثاني في مثل هذا غير أحرى والتعبير
مع ذلك متعلق بذل الاعتذار في الابس برد الخمل
أناء الليل وأطراف النهار اعتقاداً منه بأن صاحب

البيت أدرى بما فيه وأن الأحجام مع ولدك
أهنا وأرحم وأما الفقير فيحقق أن لنا طرفي
كرا طرف فأكرا أن النعام في [illegible] لكل مقام
مقال ولكل علم رجال فرحم الله امرأ عرف
قدر نفسه
بقدر الصعود يكون الزوال فإياك والرتب العاليه
وكن في مكان إذا ما سقطت تقوم ورجلاك في العافيه
ولما طال على هذا الأمر رأيت أن ليس منه بد
وأن باب قبول الأعذار قد سد فلبيت بالإجابة
راجياً من الله الهداية لسبل الإصابة سائلاً
منه التوفيق لأقوم طريق فهو سبحانه وتعالى
المرجو في كل رخاء وضيق وحسبي ونعم الوكيل
نعم المولى ونعم الدليل قال حفظه الله ما
قول الحكم في حديث جابر الطويل في بدو الخلق
وأنه صلى الله عليه وسلم أصل الموجودات
وقد حقق في الإنسان الكامل ذلك بما لا مزيد
عليه غير أني [illegible] على قول بعضهم أنه صلى الله
عليه وسلم أصل الأصول الروحية والبشرية
ما النقطة هذا أنا فاسد بحيث من غافل حكيه

من مصادر الكتاب ومراجعه

أولاً: المخطوطات:

- **أحمد بن عبد القادر الحفظي:**

- مسائل مفيدة وأبحاث عديدة وصلت من أحمد بن عبد القادر بن بكري العجيلي، مخطوط في 64 ورقة ضمن مجموع، الكتاب الثاني عشر، أصله في مكتبة آل يحيى برقم 14 فقه، الأحقاف، تريم.

- **أحمد بن محمد الشرفي:**

- اللآلئ المضيئة، مخطوط مصور ـ ق2 نسخة المكتبة الغربية، جامع صنعاء الكبير.

- **الحسن بن أحمد الضمدي (عاكش):**

- قمع المتجرّي على أولاد الشيخ بكري، مخطوط بمكتبة علي الحسن الحفظي، أبها.

- **الحجوري:**

- من روضة الأخبار وكنوز الأسرار، معهد المخطوطات، القاهرة.

- **عبد الرحمن الحفظي:**

- تاريخ عبد الرحمن الحفظي، المسمى (تاريخ الملك العسيري)، مخطوط أصله في مكتبة علي الحسن الحفظي، ومنه صورة لدى الباحث.

- **عبد الله بن حمزة:**
  - الناصحة المشيرة بترك الاعتراض على السيرة، أصلها في دار المخطوطات، الجامع الكبير في صنعاء.
- **لطف الله جحاف:**
  - درر نحور العين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين (1189 ـ 1224هـ) مكتبة الإمام زيد، صنعاء.
- **محمد بن عبد الله أبو علامة:**
  - التحفة العنبرية في المجددين من خير البرية ـ أصله في مكتبة الغربية، الجامع الكبير بصنعاء.
- **مصطفى الحموي:**
  - فوائد الارتحال، مخطوط مصور عن نسخة د. عائض الردادي، الرياض.
- **يحيى بن الحسين:**
  - طبقات الزيدية الصغرى (المستطاب) ـ مخطوط مصور عن نسخة دار المخطوطات، صنعاء.

ثانيًا: المصادر المطبوعة:

- **أحمد بن أبي الرجال:**
  - مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية، تحقيق عبد الرقيب حجر، مركز آل البيت، صعدة 2004م.
- **أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري:**
  - كتاب التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب، تحقيق سعد ظلام، دار المنار، د ت.
- **الحسن بن أحمد الهمداني:**
  - كتاب الاكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق محمد بن علي الأكوع، صنعاء 2004م.

● **أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير:**

- الرحلة، منشورات دار الهلال، بيروت، د ت.

● **الحسين بن أحمد بن يعقوب:**

- سيرة الإمام المنصور القاسم بن علي العياني، تحقيق عبد الله الحبشي، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1996هـ.

● **حميد الشهيد المحلي:**

- الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، تحقيق: المرتضى المحطوري (صنعاء، 1423هـ/ 2002م.

● **سليمان الثقفي:**

- سيرة الإمام أحمد بن سليمان، تحقيق عبد الغني عبد العاطي، عين للدراسات والبحوث، ط1، 2002م.

● **عبد الرحمن البهكلي:**

- خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد، تحقيق ميشيل توشيرير، وعدنان درويش، دمشق، 2000م.

● **عبد الرحمن بن الديبع:**

- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، حققه محمد الأكوع، بيروت، 1409هـ.

● **عبد الكريم السمعاني:**

- الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، ط1، دار الجنان، بيروت، 1988م.

● **أبو عبيد البكري الأندلسي:**

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، حققه وضبطه مصطفى السقا، عالم الكتب، 1945م.

● **عز الدين بن الأثير:**

- اللباب في تهذيب الأنساب، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى، بغداد، د ت.

- **عز الدين، عبد العزيز بن فهد:**
  - غاية المرام بأخبار سلطنة عمان الحرام، تحقيق فهيم شلتوت، ط1، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، 1988م.
- **علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال:**
  - شرح صحيح البخاري، ضبط نصه وعلق عليه ياسر ابراهيم، وإبراهيم الصبيحي، مكتبة الرشد، ط2، الرياض 2003م.
- **علي بن محمد العلوي:**
  - سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، تحقيق سهيل زكار، ط2، دار الفكر، 1981م.
- **عمارة الحكمي:**
  - النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، اعتنى به هرتويغ درنبرغ، شالون، 1897م.
- **عمر بن فهد:**
  - إتحاف الورى بأخبار أم القرى، حققه فهيم بن محمد شلتوت، ط1، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، 1403هـ.
- **ابن فضل الله العمري:**
  - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع، تحقيق حمزة عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002م.
- **قطب الدين النهروالي:**
  - البرق اليماني في الفتح العثماني، ط2، منشورات المدينة، 1986م.
- **مجهول:**
  - تاريخ عسير خلال خمسة قرون في رسالة إبراهيم بن علي

زين العابدين الحفظي تحقيق وتعليق محمد بن مسلط الوصال البشري، د ت، 1992م.

- **محمد بن إبراهيم شرف الدين:**
  - السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية ـ سيرة الإمام يحيى شرف الدين ـ تحقيق ودراسة، زيد الفضيل، ط1، 2012م.
- **أبو محمد بن حزم الأندلسي:**
  - جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط5، دار المعارف.
- **محمد بن السائب ابن الكلبي:**
  - جمهرة النسب، تحقيق محمود العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، د ت.
- **محمد بن علي الزحيف (المعروف بابن فند):**
  - مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، حققه عبد السلام الوجيه وخالد قاسم، مؤسسة الإمام زيد، صنعاء2002م.
- **محمد بن علي الشوكاني:**
  - البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق حسين عبد الله العمري، ط2، دار الفكر، دمشق، 1998م.
- **مطهر الجرموزي:**
  - الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة ـ سيرة الإمام المؤيد محمد بن القاسم ـ حققته: أمة الملك الثور، بمسمى: بناء الدولة القاسمية في اليمن في عهد الإمام المؤيد محمد بن القاسم، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء 1429هـ/ 2008م.

- النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة، نشرته مخطوطًا مصورًا مكتبة اليمن الكبرى.

● **مفرّح بن أحمد الرّبعي:**

- سيرة الأميرين الجليلين الفاضلين، تحقيق رضوان السيد، وعبد الغني عبد العاطي، ط1، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993م.

● **ناصر خسرو علوي:**

- سفر نامة، ترجمة يحيى الخشّاب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1993م.

● **هشام بن السائب الكلبي:**

- نسب معد واليمن الكبير، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، 2004م.

● **يحيى بن الحسين:**

- بهجة الزمن في تاريخ اليمن، حققته: أمة الغفور الأمير بمسمى؛ الأوضاع السياسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، 1429هـ/ 2008م.

ثالثًا: المراجع

● **إبراهيم المقحفي:**

- معجم البلدان والقبائل اليمنية، صنعاء، 1989م.

● **أحمد السباعي:**

- تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الرياض، 1999م.

● **أحمد آل فايع:**

- دور آل المتحمي في مدّ نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى عسير وما جاورها (1215هـ ـ 1233هـ)، ط1، 2006م.

- **الحسن الحفظي:**
  - مجموع في تاريخ عسير، تحقيق علي الحسن الحفظي، وعلي آل قطب، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.
- **رياض أباظه:**
  - إتمام الأعلام، دار صادر، 1999م.
- **سيد مصطفى سالم:**
  - الفتح العثماني الأول لليمن 1538 ـ 1635م، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1978م.
- **شعيب الدوسري (منسوب):**
  - امتاع السامر بتكملة متعة الناظر، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة 1365هـ.
- **عبد الرحمن آل حامد:**
  - العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، منشورات نادي أبها الأدبي، 2005م.
- **عبد السلام الوجيه:**
  - أعلام المؤلفين الزيدية، ط2، مؤسسة الإمام زيد، صنعاء 2018م.
- **عبد الكريم عائض آل طالع:**
  - قبيلة شهران بين الماضي والحاضر، بحوث تاريخية وجغرافية واجتماعية، د ت.
- **عبد الله أبو داهش:**
  - أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية، طبعته الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، 1419هـ.

- أهل السراة في الجاهلية والإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، إصدارات نادي أبها الأدبي، 2006م.
- أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة، مطابع مازن، أبها، 1417هـ.
- عسير في ظلال الدولة السعودية الأولى (1215 ـ 1233هـ)، نادي أبها الأدبي، 1989م.

● **عبد الله بن عبد الكريم الجرافي:**
- المقتطف من تاريخ اليمن، مؤسسة دار الكتاب الحديث، ط2، بيروت، 1984م.

● **عبد الله بن مسفر (منسوب):**
- أخبار عسير، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1979م.
- السراج المنير في سيرة أمراء عسير، مؤسسة الرسالة، د ت، د م.

● **علي أحمد عسيري:**
- عسير من 1249 ـ 1289هـ دراسة تاريخية، نادي أبها الأدبي، 1987م.

● **علي الحربي:**
- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، منطقة عسير، أبها، 1417هـ.

● **علي آل قطب:**
- الأمراء اليزيديون، عسير تاريخ لم يكتب، طوى للثقافة والنشر، لندن، 2013م.

● **عمر غرامة العمروي:**
- قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام من 1500ق م ـ 1200هـ، نادي أبها الأدبي، 1991م.

● **غيثان بن جريس:**

- دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ط1، 2003م.
- صفحات من تاريخ عسير، الجزء الأول، ط2، 1994م.

● **فؤاد حمزة:**

- في بلاد عسير، مكتبة النصر الحديثة، ط2، الرياض، 1968م.

● **محمد بن أحمد الحجري:**

- مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل الأكوع، ط2، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1996م.

● **محمد الأكوع:**

- هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1416هـ/ 1995م.

● **محمد رفيع:**

- في ربوع عسير (ذكريات وتاريخ)، دار العهد الجديد، القاهرة 1954م.

● **محمد آل زلفة:**

- دراسات في تاريخ عسير الحديث، ط1، د ت، 1412هـ.
- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتأثيرها على مقاومة بلاد عسير ضد الحكم العثماني المصري من عام 1226 ـ 1255هـ، ط1، الرياض، 2003م.
- عسير في عهد الملك عبد العزيز (دراسة وثائقية)، ط3، دار بلاد العرب للنشر والتوزيع، الرياض، 2014م.

● **محمود شاكر:**

- شبه جزيرة العرب (عسير)، ط3، المكتب الإسلامي، 1981م.

- **هاشم النعمي:**
  - تاريخ عسير بين الماضي والحاضر، الرياض، 1999م.
- **وهبي الحريري:**
  - عسير تراث وثقافة، ط1، مطبعة شركة العبيكان، 1987م.

رابعًا: الرسائل العلمية:

- **علي بن سعد آل زحيفة الشهراني:**
  - التاريخ الثقافي لقبيلة شهران العريضة من العصر الأموي إلى قيام الدولة السعودية، رسالة علمية مقدمة إلى أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ماليا، كوالا لمبور، 2016م.

خامسًا: المراجع المعربة:

- **جون لويس بوركهارت:**
  - رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ترجمة هتاف عبد الله، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت، 2005م.

سادسًا: الدوريات العلمية:

- **عبدالله بن حميد:**
  - دور أمراء عسير في نشر الدعوة السلفية، مجلة العرب، ج11، 12، السنة التاسعة جماديان، 1395.
- **هاشم النعمي:**
  - «عسير: قبيلةً وبلادًا»، مجلة العرب، ج3، س27، رمضان 1412هـ.

التاريخ السياسي والفكري

لإقليم عسير قبل الدولة السعودية الأولى
بين الزيف والحقيقة

يهدفُ هذا الكتاب من خلال الأدلة والشواهد المصدرية الأصيلة والقطعية إلى مناقشةِ، وتفنيد، وتقويض ما ذهبت إليه بعض المؤلفات، والمدونات المجهولة التي تتحدّث عن تاريخ سياسي مزعوم لبلاد عسير خلال العصور الإسلامية الوسيطة، والمتأخرة، والتي غلب عليها الزيف، والانتحال، وتفشّت فيها النصوص المصطنعة، ولابسها الاضطراب، والمبالغة، وحشاها مُنتحلوها بالكثير من مختلقات الحوادث، وركّبُوا فيها العديد من الرّوايات، والشُخوص، ووظفوا كلّ ذلك في سبيل خلق سلطة سياسيّة، وإمارة حاكمة في إقليم عسير سراتهُ، وتهامته، امتدت بزعمهم خلال العصور الإسلامية الوسيطة والمتأخرة من أطراف اليمن، والمخلاف السليماني، وجميع تهامة الشامية إلى الطائف غرباً، وأكثر بلاد العارض شرقا؛ ومن ثمّ الردّ على من اغترّ بهذه النصوص العليلة والسقيمة فذهب يبني عليها، وعلى غيرها من روايات ركيكة هيكلاً مزعوماً لحكومة في عسير من آل يزيد الأمويين حكمت وامتدّ سلطانه على عموم عسير عبر عدّة أدوار تاريخية وُصولاً إلى عهد الأمير محمد بن أحمد اليزيدي الأموي الذي تقوّض بمقتله الدور الأول لإمارة اليزيديين على يد أتباع الدولة السعودية الأولى.

ISBN 978-9953-93-819-6
9 789953 938196

